اقرأ
سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف
[٧٧٦]

أربعون كتابا فى كتاب

رحيق الكتب

رئيس مجلس الإدارة

د. حسن أبو طالب

سلسلة اقرأ

صدر العدد

الأول سنة ١٩٤٣

تم التنفيذ فى مطابع دار المعارف
- ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة -
جمهورية مصر العربية

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب
والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

فرح، فايز
أربعون كتابا فى كتاب: رحيق الكتب / فايز فرح
ط١ - القاهرة: دار المعارف، ٢٠١٤.
٢٢٠ ص ؛ ١٧,٥ سم - (سلسلة اقرأ ، ٧٧٦)
تدمك : ٤ - ٨٠١٦ - ٠٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ - الكتب
٢- الثقافة العربية
(أ) العنوان.

ديوى ٠٧٠,٥٧٣

رقم الإيداع ٢١٠٢٥ / ٢٠١٤ ١/٢٠١٤/٣٣

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت
إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ — فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ — E-mail: maaref@idsc.net.eg

فايز فرح

أربعون كتابا فى كتاب

رحيق الكتب

الطبعة الأولى

٢٠١٤م

دار المعارف

تأسست ١٨٩٠

اقرأ

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها، لم يفكروا إلا في شيء واحد، هو نشر الثقافة من حيث هي ثقافة، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التي نحياها.

طه حسين

دار المعارف

أحلام شهرزاد – العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

الإهداء

إلى أرواحهم العزيزة الخالدة:

والدى.. إسكندر فرح.

والدتى.. أماليا عبد السيد.

أخى.. عبده.

أخواتى.. فردوس، فايزة، نورا.

ذهبتم وذهب معكم الزمن الجميل.

فايز فرح

مقدمة

لم أعكف على كتابة وتأليف هذا الكتاب، ومع ذلك استغرق إعداده وتأليفه أكثر من عشرين سنة، وهو فى الواقع برنامج قدمته خلال هذه المدة، ولا أزال أقدمه من إذاعة الشباب والرياضة التى هى صاحبة الفضل الحقيقى فى تأليفه، هو برنامج إذاعى ثقافى أسبوعى تحت عنوان: كتاب للشباب.. كانت فكرته أن أقدم كتابا أسبوعيا للشباب يوسع دائرة معارفهم، ويأخذ بيدهم فى طريق الحياة ويعطيهم خبرة الأدباء والمفكرين، ويصقل شخصياتهم، ويشجعهم على استخدام العقل ونبذ الخرافات والخزعبلات، فيدفعهم إلى العمل الجاد والترفيه المفيد، فالعمل هو الطريق الحقيقى لتحقيق الأمل، وهو الذى يدفعنا إلى الإيمان بضرورة العلم الذى هو طريقنا إلى التقدم وحل جميع مشكلاتنا.

ثم هل يمكن للإنسان أن يكد ويعمل دون أن يملك شخصية سوية قوية واثقة فى نفسها؟!

اخترت من مئات الكتب، بل الآلاف هذه المجموعة التى وجدت فيها ثقافة مفيدة وحياة أخرى يستطيع القارئ العزيز أن يجد فيها ما يحتاج، فهى وجبة ثقافية مفيدة تغنيه عن قراءة عدة كتب، خاصة أن القارئ لا يجد وقتا كافيا للقراءة بسبب مسئوليات الحياة ومشاغلها،

وقد حاولت أن أقدم فى هذا الكتاب عرضا ورحيقا لكتب استفدت أنا من قراءتها، وأرجو أن يستفيد القارئ منها أيضا. هذه الكتب تجمع بين التاريخ وعلم النفس والفلسفة والعلم والسير والتراجم الذاتية – التى أعشقها وأعتبرها مدرسة لتربية الشباب وكل الناس – والفن والأدب وغير ذلك.

كما قلت لك عزيزى القارئ إننى لم أعكف على تأليف هذا الكتاب، كما فعلت فى مؤلفاتى السابقة التى بلغت العشرين كتابا حتى الآن، لكننى فى الواقع وجدت لدى مادة ثقافية غنية ثرية مفيدة لكل إنسان، وشعرت أننى إن لم أقدمها للقارئ فسأكون بخيلا أنانيا وألوم نفسى، من هنا كان هذا الكتاب الذى أعتز به وأرجو أن يغير من حياتك إلى الأفضل والأجمل، ويجعلك إنسانا عالميا تحب وتحترم كل إنسان مهما اختلف معك، وأن يشجعك على أن تقرأ وتستمع.

فايز فرح

كتاب: مصـــر والأديان

للدكتورة: نعمات أحمد فؤاد

المصريون أصل الحضارة، هم دعاة حب وسلام ورحمة.. من هنا عندما جاءت الأديان السماوية رحبوا بها بل آمنوا بها وربطوا بينها برباط الحب والتآخى.

فى كتابها «مصر والأديان» تقول الكاتبة الكبيرة الأستاذة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد:

حـين جاءت الأديان وآمنـت بها مصر لم يكن إيمانهـا انقيادا بل إيمان الشـخصية الحضارية، فمن السـماحة وقابليـة التطور ومرونة الإدراك أن تـدرس الرأى الآخر وتنفذ إليه فإذا اقتنعت به تقبلته دون جمود، وبهذا اسـتمر دورها فلم تسقط الأضواء من على قسماتها أبدا، فقد خـرج من مصر نابهـون وأعلام حققوا معنى الديـن فى المرحلتين المسيحية والإسـلامية.. ولولا أن مصر فى قلبها نزوع إلى السمو والعلو من قديم، لما تقبلت مصر المسيحية والإسلام بمثل ما تقبلتهما.

لقد استقبلت الحضارة المصرية الأديان السماوية بشوقها الحضارى إلى المطلق ونزوعها إلى التجريد، وولوعها بالقيم فى الفكر والروح.. وقد أجمع أساتذة الفنون الذين رأوا جامع السلطان حسن على أنه فن فرعونى ولو أنه أثر إسلامى. إن القبة هى الترجمة الإسلامية للهرم..

القبة هرم ترفق المصرى المسلم فى بنائه من رفق الدين الجديد فاستدار الخط بعد صلابة وثبات.

وتضرب الدكتورة نعمات أحمد فؤاد مثلا آخر على ارتباط الإسلام بالفن الفرعونى فتقول:

المئذنة هى الصورة الإسلامية للمسلة الفرعونية، إن داخل كل مئذنة، مسلة فى لشكل والروح.

هكذا كان المصرى القديم يجمع بين القديم والحديث، بين فنه الموروث وسماحة الدين الجديد ورحمته فانطبع هذا فى فنه الإسلامى، حنيات واستدارة يزركش المصرى المسلم أعلاها وكأنه يحضن المستطيل، ويُعشِّق الخشب ويستنطق السطح بالنقش والنَمْنَمْة.

كم هى بليغة لغة ابن البلد فى لفظة (يُعَشِّق) حتى الخشب فى مفهومه، أرواح تتحاب وتتعاشق وتعشق.

حتى المفاهيم العقائدية تلقى فيها عصور مصر مع تجديدها فلو تأملنا الآثار المصرية لرأينا الجناح يسيطر على الخيال المصرى الذى رمز به إلى الرحمة إلى الانطلاق إلى السيطرة.. ولهذا شاع فى الفن المصرى القديم (القرص المجنح) حبا فى النور والحرية، وتحصينا بالشمس والجناح وتسرب هذا عبر الأجيال إلى ابن البلد نفسه فأصبح يقول ويؤمن بـ مصر المحروسة.

عندما جاء الإسلام إلى مصر استقبلته ونمت به، فلم يمح شخصيتها بل أضاف إليها عمقا جديدا، يوم حملت مسئولية السلم والحرب ودافعت عنه فى مواقعه الكبرى فى صناعة الحضارة.

هذا هو دور مصر وعطاؤها.. حتى الأديان حين تعتنقها لا تقف عند الاتباع بل تأخذ دورا بالعطاء والإضافة والتكيف على هدى حضارتها وسابق معطياتها. إن الوجدان الدينى بالنسبة إلى مصر (القيمة) كالنيل و(الوادى)؛ فالوعى الدينى هو نهر النيل المعنوى. والمصرى على طول تاريخه له مواقف وعطاءه خلاصة المصرى القديم حضارة.. خلاصة المصرى المسيحى تجرد وشهادة.. خلاصة المسلم المصرى جهاد وخلوص لله..

خلاصة المصرى المعاصر.. أسلوب تفكير تتوافق فيه الوسيلة مع الغاية.

وتختلف الأديان والعصور.. والمصرى يجمع فى كيانه هؤلاء كلهم.. كم لمصر من المواقف..

الإمام الحسين بن على قابله فى طريقه إلى كربلاء رجل يعرفه فسأله: كيف حال الناس؟

فقال له: قلوبهم معك وسيوفهم عليك..

وانهالت السيوف على الحسين وقتل فى كربلاء.

ثم انقض زبانية يزيد على طفل الحسين زين العابدين وكان مريضا يريدون أن يفتكوا به فاحتوته عمته السيدة زينب فى حجرها وصرخت فيهم:

اقتلونى أنا أولا.. فارتدوا يجللهم الخزى والعار.

وعاش زين العابدين ليعيش ذكر العلويين ويقوم لهم مُلك ودولة. وعاشت باسمهم فى التاريخ الإسلامى الدولة والملوك.

السيدة زينب بكل ما تمثله من معانٍ فى الفداء والحماية والحنان.. بكل ما تمثله من معانِ الحق وشجاعة الرأى والموقف والضمير.. السيدة زينب الكريمة الجليلة أهانها يزيد بن معاوية فى حضرته وأخرجها من دولته فى الشام والعراق فاستقبلتها مصر..

وَاليها وشَعبها عند حدود الشرقية، وتنازل الوالى عن قصره لها وأنزلها فيه، وهو ضريحها الآن.

وتقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد متسائلة:

ترى لو احتمى الحسين بمصر هل كان يلحقه حيف أو يعلوه سيف؟

سؤال يلح على خاطرى بين الحين والحين.

■■■

كتاب: طبيب عجيب اسمه الهرم

للدكتور: محمد المخزنجى

مصر

أم الدنيا، وأصل حضارة الإنسان، وهذه ليست مجرد كلمات أو شعارات نروجها عن بلادنا العزيزة، لكنها الحقيقة التى لا يمكن لأحد أن ينكرها.

فالعلم يثبت كل يوم أسرارا جديدة واكتشافات مهمة عرفها الإنسان القديم، واكتشفها منذ فجر التاريخ.

وما زالت الآثار المصرية حُبلى بأسرار علمية كثيرة يكتشفها العلم كل يوم.

الهرم الأكبر أكبر دليل على ذلك، وليس عجيبا أن تكون أبعاده ويكون تشكيله منطويا على أسرار صحيّة ينقب عنها بعض العلماء.

وقبل أن يكون الهرم الأكبر - هرم خوفو - فى الطبّ أعجوبة، هو فى حد ذاته.. عجيب.

عجيب حتى إن غلاة اليهود يريدون وضع أيديهم عليه مثلما يضعون أياديهم على ذهب العالم وثرواته فيزعمون أن أجدادهم بنوه، ويزعم غيرهم أن أبناء حضارة أخرى جاؤوا من الفضاء البعيد وأعانوا المصريين على بنائه، وما من عالم عرف دقة أبعاده وضخامتها حتى افترض أنه ينطوى على سر ما.. معجزة ما. فهو يتكون من مليونين وستمائة ألف

حجـــر، وكل حجر يزنُ ما بين الطنين والســبعين طنا، تقدر مجتمعة بتســعين مليونا من الأقدام المكعبة، أى ما يكفــى لبناء ثلاثين ناطحة سحاب من أكبر ناطحات السحاب فى الدنيا. وكل هذا العدد الضخم من الأحجــار تم اقتطاعه من جبال ضفاف النيل التى تبعد خمســمائة ميل عن موقع البناء. فكيــف تم النقل عبر النيل.. ثم إلى الصحراء. وكم من جذوع الأشجار تم استعمالها لدفع الأحجار عليها كما يفترض بعضهم؟ ومن أين جاؤوا بالأشجار إلى الصحراء الشاسعة؟ ثم كم من آلاف العمال فى ذلك كله؟ ومن أين لهم بالطعام والشراب فى هذه الصحراء القاسية؟ وكم من الســنوات أنفقت حتى يســتقر الحجر بعــد لصقه على الحجر الآخر تماما بنظرية عدم وجود الفراغ حتى لا يمكن انسلال ورقة شجر بين الحجرين. قاعدة الهرم الأكبر تبلغ ٥٦ ألف متر مربع أما ارتفاعه فيبلــغ أربعمائة وخمســين قدما أى ما يوازى ارتفــاع ثمانية وأربعين طابقــا من طوابق عمائرنا الحديثــة.. فهل كل ذلك مجرد مقبرة عظيمة للفرعون الأكبر كما تقول إحدى الافتراضات؟

أو ذريعة لتشغيل الآلاف من الأيدى العاطلة بعد موسم الحصاد كما ادعى أحد المتعالين الغربيين؟

ويقــدم لنا الدكتــور محمد المخزنجى فــى مجلة الضاد الســورية الاكتشــافات العلمية الجديدة عن الشــكل الهرمى، ولم يبدأ الالتفات إلى ذلك إلا فى أوائــل ١٩٣٠م عندما وضح العالم «أنتونى بوفيس» قدرة وإمكانية الشكل الهرمى فى التأثير فى المواد الحية. كان الرجل يقضى

إجـازة فى القاهرة زار خلالها الأهرام ولاحـظ أن الحيوانات الصغيرة التى تسـللت إلى داخل الهرم وماتت لم تتعفـن وتتحلل على الرغم من ارتفاع نسبة الرطوبة داخل الهرم، فقد تيبست وتحنطت فقط، وصارت مومياوات!

وعندما عاد «بوفيس» إلى باريس راح يبنى هرما صغيرا بنسب الهرم الأكبر نفسها.. ويجرب. فاكتشف أنه يستطيع تكرار عملية التحنيط بهرمه الصغير، بل استطاع بهذا الهرم حفظ الفواكه والخضراوات مدة أطول، وأعلن العالم الفرنسى عن هذه النظرية، نظرية الشكل الهرمى، لكن لم يصدقْه أحد!. فى أوائل الأربعينيات عاد حديث الهرم والشكل الهرمى، عندما بحث كل من العالمين «فيرن لى كاميرون» و «رالف بيرجتر» أهمية وقوى الشكل الهرمى، ولم يصدقهما أحد فى البداية، لكن فى أواخر الأربعينيات تمكن فنى الراديو التشيكى «كارل دربال» من الحصول على براءة اختراع لِمسَنّ أمواس عبارة عن هرم صغير، وأتى هذا المِسَنّ المبتكر بنتائج مذهلة حتى إن صفوة من أخصائى المعادن عكفوا عشر سنوات من البحث ليفسروا كيف يعمل هذا الهرم كمسَنّ ويأتى بهذه النتائج.. اكتشف هؤلاء بعد ذلك أن الماء المستعمل فى الآلة يقلل من حدة الصلب بمقدار ٢٢٪، وهو يظلُ داخل جيوب دقيقة جدا فى الشفرات فيتلمها، لكن بوضع الشفرات تحت الهرم بتوجيه الشفرات والهـرم معا إلى محور الشمال - الجنوب، وجد أن هذه الجيوب الميكروسكوبية جفت، واستعادت الشفرات حدّتها.

ولقد فسروا هذا بأن الهرم يُوّلّد حقلا من القوى تعمل على تجفيف الشفرات. ويسمى المسَنّ الآن بمسَنّ شفرات فرعون وهو واسع التداول ويطيل عمر الشفرات أربعة أشهر أكثر من معدلها.

هذه الأبحاث ونتائجها الإيجابية شجعت علماء كثيرين للاهتمام بقيمة الاستخدامات العلمية للأشكال الهرمية.

وراح اثنان من علماء الأهرام هما: «بيل كاريل» و «كاتى جوجين» ينفذان عددا من التجارب فى هذا الشأن، بالولايات المتحدة، وكانت نتائجهما مهمة.. فقد بيّنَا أن المأكولات يتغير طعمها إلى الأفضل، والقهوة تصير أقل مَرارة، ويتحسن طعم النبيذ، وتقل حامضية الفواكه.. كل هذا بعد وضعها تحت الشكل الهرمى.. ماكيت الهرم الأكبر. كما أنهما أعادا بنجاح استزراع نباتات فائقة النمو تحت الأشكال الهرمية.

لقد أجرى العالمان «كاريل» و«جوجين» تجارب على متطوعين أوصلت فروات رؤوسهم بأجهزة رسم المخ الكهربية، وكان الأشخاص مغماة عيونهم أثناء إجراء التجارب، وسجلت الخطوط القاعدية لموجات المخ ثم أدليت الأشكال الهرمية فوق رؤوسهم دون أن يدروا. وبعد ٣٠ إلى ٤٥ ثانية لوحظ زيادة ترددات موجات «ألفا» و «ثيتا» حتى صارت ضعف سعتها العادية، بل تجاوزت قمة مقياس التسجيل.

ولم تكن هذه التغيرات هى الوحيدة التى حدثت؛ فقد لاحظ الأشخاص - موضوع التجربة - تغيرّات تشمل إحساسهم نفسه. وكان أكثر ما تم تسجيله: الشعور بانعدام الوزن، والدفء، والخدر،

والهدوء، والاسترخاء، والحلم، والرؤية التصويرية. كما بينت تجارب أخرى أن الأشخاص الذين ينامون تحت أشكال هرمية يحتاجون إلى عدد أقل من ساعات النوم، ويستيقظون أكثر انتعاشا.

وحتى تكون هذه الدراسة وقراءة نتائجها أكثر موضوعية قام العالمان بإجراء تجارب مماثلة على الأطفال الذين يتميزون عن الكبار بعدم تأقلمهم على الرفض المسبق للظواهر الجديدة.. أخذوا الأطفال «الذين لم يعرفوا شيئا عن الأهرام» ووضعوا لهم أهرامات مفتوحة فى حدائق بيوتهم. وسمح لهم بالدخول والخروج بحرية من وإلى هذه الأهرامات.

ثم سئل الأطفال عمّا أحسّوه وهم داخل الأهرامات، أجاب معظمهم بإحساسهم بالدفء يعم أجسامهم وسعادة نفسية تغمرهم داخل الهرم.

وبالإضافة إلى التجارب السابقة هناك من العلماء من يؤكد أن الماء يتخلص من طعم الكلور المضاف إليه بوضعه تحت الهرم.

كذلك فإن طاقة الهرم قادرة على تأخير الشيخوخة، وعلاج الدورة الشهرية عند المرأة والتخلص من التقلصات والآلام.

وحتى الآن لا أحد يعرف على وجه الدقة ما يحدث، وإن افترض بعضهم قدرة الشكل الهرمى على تركيز موجات كهرومغناطيسية معينة، وبالذات عند وضع الهرم فى اتجاه الشمال – الجنوب.

■■■

كتاب: مصر علَّمت العالم

للدكتور: وسيم السيسى

الدكتور وسيم السيسى، أستاذ جراحة المسالك البولية وأمراض الذكورة. وزميل كلية الجراحين الأمريكية من المهتمين بقضايا وطنه مصر. وهو ابن الحضارة المصرية القديمة البارُ بها، والذى يريد أن ينشرها فى كل مكان فى العالم.

يعتقد الدكتور وسيم السيسى أن مصر لن يعود لها وجهها الحضارى لتصبح رائدة العلوم والفنون، إلا بالاطلاع على تاريخها القديم الذى يمثل وحدتها وعظمتها وبخاصة أن التاريخ المصرى هو التاريخ الوحيد فى العالم الذى أصبح علما يُدَّرسُ فى كل مدارس العالم وجامعاته وهو علم المصريات.. إيجبتولوجى Egyptology.

من هنا أصدر الدكتور وسيم رشدى السيسى منذ عدة سنوات كتابه: «مالا تعرفونه عن مصر».. ثم أصدر كتابه: «مصر علمت العالم» الذى يقدم فيه معلومات مهمة وحقائق عن حضارة مصر القديمة فى الفنون والآداب والعلوم و لطب والصيدلة، والعلوم الإنسانية والقضاء والمحاكم وغير ذلك.

يقول المؤلف: إن العالم الأمريكى هنرى برستد أطلق على كتابه الذى كتبه عن تاريخ مصر القديمة اسم: فجر الضمير.. لأن تاريخ البشرية

كان ظلاما قبل تاريخ الحضارة المصرية القديمة. كذلك عندما جاء العالم شامبليون مع علماء الحملة الفرنسية إلى مصر ١٧٩٨م واستطاع أن يفك رموز اللغة المصرية القديمة قال معبرا عن إعجابه بالحضارة المصرية:

«يتداعى الخيال ويسقط بلا حراك تحت أقدام الحضارة المصرية القديمة».

يحكى لنا الدكتور وسيم السيسى فى كتابه كيف يعتز الأفارقة بتاريخ مصر القديم، فيذكر أنه كان مولعا بحضور مناقشات ومحاورات الناس فى حدائق الهايد بارك عندما كان يدرس ويعمل فى لندن، وفى إحدى حلقات النقاش وقف رجل إنجليزى يفخر ببلاده وحضارتها وإنجازاتها فى شتى المجالات، حتى انبرى له رجل أسود طويل القامة قائلا: أيها السيد المتحدث.. أرجو أن تتوقف عن التفاخر لأنى [هو] الذى أعطاك الحضارة!

فسأله المتحدث الإنجليزى: كيف؟ وهل لديك دليل؟

قال الرجل الأسود: نعم.. أنتم أنجلو ساكسون، أخذتم حضارتكم من الرومان، والرومان أخذوها من اليونان، واليونان أخذت حضارتها من مصر، ومصر جزء من إفريقيا، وإفريقيا قارتى لأنى من نيجريا، فأكون أنا الذى أعطاك الحضارة!.

يقول الدكتور وسيم السيسى: صفق الرجل الإنجليزى ونحن معه للرجل النيجيرى، وبقدر فرحى كان خجلى من نفسى، فأنا لا أعرف قدر بلادى كما يعرفه هذا النيجيرى!

من هنا بدأ المؤلف (وسيم السيسى) يهتم ويقرأ فى شغف تاريخ مصر القديمة وحضارتها التى أذهلت وأعجبت العالم كله، حتى أصبح حجة فى هذا التاريخ، يصدر الكتب ليعلمنا حضارتنا التى لا نعرفها مع أننا يجب أن نعرفها وندرسها ونتمسك ونفخر بها فى كل زمان ومكان، ونغنى مع فنان الشعب سيد درويش:

أنـا المصرى كريـم العنصرين بنيت المجـد بين الأهرميـن

يذكر المؤلف أنه لم تتعرض حضارة للظلم بسبب الجهل مثل الحضارة المصرية القديمة، قالوا عنهم: لا يؤمنون بالله! بينما إدريس عليه السلام كان مصريا، وكان أول الرسل، كما أن لقمان والخضر مصريان، بل إن كلمات: دين، صوم، حساب، إمام، حج، آخرة وغيرها كلها كلمات مصرية قديمة.

من فصول كتاب «مصر علّمت العالم» المهمة الفصلان التاسع والعاشر، وهما يتحدثان عن القضاء الفرعونى والمحاكمات.

كان اسم المحكمة العليا هو: بيت العدل الكبير، وكان هناك مفتشون يمرون على المحاكم لضمان سير العدالة، ولم يكن هناك محامون بل كان المتخاصمون يترافعون عن أنفسهم أمام القضاة، كذلك لم تكن هناك رسوم تدفع لعملية التقاض، وكانت المرأة تعمل بالقضاء وتشترك فى هيئة المحلفين، مما يدل على مكانة المرأة الكبيرة والمحترمة فى الحضارة المصرية القديمة.

كان الميزان يتصدر قاعة كل محكمة فى مصر القديمة، وقد أخذ العالم كله منا هذا الرمز حتى الآن.

ومن الوصايا المهمة للقضاة والموجودة فى كتاب التوحيد:

- احلف بالعدل أيها القاضى، قبل أن تطلب ممن تحاكمه أن يحلف بالصدق.
- أيها القاضى لا تجلس أمام الميزان لتحكم بين الناس، إلا إذا كنت سليم القلب.. صحيح الجسد.. مستريح الضمير.
- أيها القاضى.. أنت تحاسب الناس عن أعمالهم فى الدنيا، وسوف يحاسبك الإله على أعمالك وأحكامك فى الآخرة.

هذا عن المحاكمات فى الدنيا، فماذا عن محاكمات الآخرة والعالم الآخر؟

يصف لنا كتاب الموتى فى مصر القديمة محاكمة الروح والجنة والنار وقلب المتوفى والميزان وريشة العدالة.

يقدم لنا الدكتور وسيم رشدى السيسى نموذجا لمحاكمات الأرواح هذه فى محاكمة: الحكيم آنى.

تتشكل هيئة المحكمة من: أوزوريس جالسا ووراءه ٤٢ قاضيا، و«تحوت» إله الحكمة يرقب الميزان الذى يتصدر المحكمة كالعادة، وريثة العدالة فى كفة، وقلب الحكيم آنى فى الكفة الأخرى.

بدأت المحاكمة بتحية «آنى» ل «أوزوريس».. ثم وقف آنى يصلى قائلا: لا تشهد ضدى ياقلبى..

ثم بدأ القضاة الـ٤٢ يسألون آنى كل واحد سؤالا، ومن أهم هذه الأسئلة:

- هل حفظت جسدك طاهرا؟
- هل امتدت يدك إلى ما ليس لك؟
- هل قتلت؟ هل كذبت؟ هل عذبت حيوانا؟
- هل كنت سببا فى دموع إنسان؟ هل شهدت بالزور؟
- هل سلبت حرية أحد؟ هل نسيت أن تسقى نباتا؟
- هل دفعك الغضب أن تفقد عقلك؟

كان الحكيم آنى يقف أمام محكمة الآلهة يتصبب عرقا وقلقا وعندما انتهت الأسئلة والأجوبة تقدم قائلا:

أيها الإله الأعظم.. لقد كنت عينا للأعمى ويدا للمشلول، ورجلا للكسيح، وأبا لليتيم، لم ألوث الماء أو أحلف كذبا، لم أغش فى الميزان أو أتلف أرضا زراعية. إن قلبى نقى ويداى طاهرتان..

ثم أعلن تحوت أن قلب آنى صاف وأعماله أرضت الإله، وقال الإله الأعظم أوزوريس: إن روح آنى سجلت ولادتها من جديد فى عالم الخلود وسفر الحياة، وطلب منه أن يجلس على يمينه، وأن تفتح له أبواب النعيم، حيث يجد أنهارا من لبن وماء وسنابل قمح من ذهب. وتسبح روح آنى كطائر أخضر فى الجنة.

هكذا يقدم لنا الدكتور وسيم رشدى السيسى فى كتابه: مصر علّمت العالم.. حضارة أجدادنا العظيمة التى أعطت وانتشرت فى العالم كله.. حقيقة إن مصر هى أم الدنيا.

كتاب: رحلة الخلود

للدكتور مهندس: فوزى حسين

تاريخ

حضارة مصر القديمة عشق كبير عند معظم شعوب العالم وبخاصة عند الشعب الفرنسى، وربما هذا الشعب بالذات لأنه شعب متحضر يعشق الحضارة أينما كانت.

وإذا كان تاريخ حضارة مصر القديمة عشقا عند معظم شعوب العالم فما بالك بالمصريين أحفاد هذه الحضارة العريقة؟ إن بعض المصريين يضحون بما لهم ووقتهم وكل شىء فى سبيل البحث عن هذه الحضارة المصرية القديمة التى قدمت للعالم منذ آلاف السنوات العلم والفن والأدب والدين والفلك والكيمياء وغير ذلك.

من هـؤلاء المصريـين الذين يهيمـون بالحضارة المصريـة القديمة الدكتور المهندس فوزى حسـين، وقد دفعه هذا العشق إلى تأليف كتاب عن هـذه الحضارة تحت عنوان: رحلة الخلـود، وقد صدر منه الجزء الأول الذى يهتـم بالتحنيط عند المصريين القدماء من بداية الإعلان عن الوفاة حتى تسـليم المومياء إلى ذويها، ثم الأثـاث الجنائزى ومرفقاته والموكـب الجنائزى والمقـبرة وما يسـمى بكتب العالم الآخـر وتقديم القرابين والزيارات الجنائزية.

يقول المؤلف فى مقدمة الكتاب: «ألزمتنى دراستى الجامعية وعملى فى مجال الإنشاءات الهندسية سواء فى مصر أو فى ألمانيا إلى الاقتراب

أكثر فأكثر من تاريخ العمارة المصرية القديمة باختلاف أنواعها وتطورها من حيث أهدافها واختيار موقعها، والوحدات المعمارية المكونة لها ومدى تكاملها، تصميمها وطريقة إنشائها ومضمونها».
وقد خلص الدكتور المهندس فوزى حسين مؤلف الكتاب إلى نتيجة تقول إن هذه الإنشاءات المعمارية للمصريين القدماء على طول البلاد وعرضها عبر مراحل تاريخهم الطويل كانت تعزيزا وتأكيدا لعقائد دينية رسخت فى عقولهم وقلوبهم وشكلت عقلهم الجمعى بأن هناك حياة ثانية بعد الموت.. هناك بعث جديد، كما كانت دليلا على قوة الحاكم وسيطرته على وطنه وشعبه، وربما يتضح ذلك جليا واضحا فى عهد رمسيس الثانى ملك مصر العظيم الذى حكم مصر خلال السنوات من ١٢٧٩ حتى ١٢١٣ قبل الميلاد، أى مدة ٦٦ عاما.

ولعشقه لتاريخ أجداده تعمق المؤلف فيه واطلع على الكتب والمراجع ليعب من هذا التاريخ وهذه الحضارة، قرأ عشرات الكتب للعلماء المصريين والأجانب على اختلاف مدارسهم وآدائهم، واتفق أخيرا مع المؤرخ الأمريكى الكبير [جيمى هنرى برستيد] فى مؤلفه العظيم (فجر الضمير) الذى يقول فيه: إن مصر القديمة أصل مدنيات العالم ومنبت نشوء الضمير الإنسانى والبيئة الأولى التى نمت فيها الأخلاق.

لاشك أن المصريين القدماء كان لهم السبق فى الوصول إلى حقائق الكون والوجود، فهم الذين أكدوا أن هناك خالقا لهذا الكون وأن هذا الخالق وضع نظاما وسننا تنتظم بها الحياة وتنسجم العلاقات بين

الموجودات وتحقق بها العدالة بين الناس، وأن الحياة على الأرض ليست عبثا دون هدف أسمى، وأن الحياة على الأرض ما هى إلا رحلة عابرة إلى عالم آخر هو عالم ما بعد الموت، وأن المرء سيحاسب على كل أعماله التى اقترفها، إن خيرا أو شرا، هذه الأفكار والمعتقدات التى آمن بها المصرى القديم دفعته إلى الاهتمام بأمرين مهمين هما:

أولا: أن يضبط روحه المسماة «بال(Ba)» بمجموعة القيم والأخلاقيات التى تنظم علاقاته مع المعبودات ومع رفاقه على الأرض فى هذه الرحلة العابرة وأن يهيئ نفسه لرحلة الأبدية أو رحلة الخلود.

ثانيا: أن يضبط جسده بالمحافظة عليه فى حياته وبعد موته وذلك بتوفير الضمانات اللازمة لعدم تحلله أو تعفنه، ومن هنا نشأت فكرة التحنيط حتى يظل الجسد سليما دون عطب حتى تتعرف إليه الروح «البا Ba» عندما تزوره فى قبره بعد الموت، ومن ثم تعود إليه الحياة من جديد فى حالة إشراقة جديدة كالشمس، وأن يبعث من جديد.

اهتم مؤلفنا المهندس فوزى حسين فى الجزء الأول من كتابه هذا: رحلة الخلود والذى نعرض له بفكرة التحنيط، ورحلة المومياء من يوم إعلان الوفاة حتى تصل آمنة إلى مقرها الأبدى وما يصاحبها من إجراءات، وقد قسم دراسته إلى ثلاثة فصول:

تضمن الفصل الأول مقدمة تاريخية، وبدء الاهتمام بالمومياء، وحتمية التحنيط تناسقا مع العقائد الدينية لدى المصريين القدماء، التحنيط فى القرون الوسطى ثم التحنيط الوقتى الحديث.. أما الفصل الثانى فشمل: التحنيط عند المصريين القدماء، وتطور أساليب الحماية

والتأمين، إجراءات التحنيط، بيت التحنيط وأقسامه، تكنيك التحنيط ومراحله، التمائم والتعاويذ والأقنعة، تزيين المومياء بالحلى والورد، التوابيت وأنواعها.

فـى الفصل الثالث يحدثنا المؤلف عن الموكـب الجنائزى، والرحلة المقدسة إلى أبيدوس المدينة المقدسة، وطقوس فتح الفم والتطهير وتناول الوجبة المقدسـة، والمقـبرة وتطورهـا ومكوناتها والمناظـر والنصوص الدينيـة التى كانـت تنقش أو تنحت على جدرانهـا وحوائطها وتقدم القرابين والزيارات الجنائزية.

يعرفنا المؤلف بأن كلمة مومياء أصلها كلمة فارسية Mum وتعنى بلغتهم القار أو الزفت الطبيعى البيتومين وتوجد فى الطبيعة كناتج من كربون الأيدروجين المتحجر، وقد ظلت هذه المادة الطبيعية حتى القرن الثامن عشر الميلادى كمادة يتهافت الناس عليها لأثرها الناجح فى مداواة الجروح وعلاج بعض الأسقام. وقد أطلقت كلمة مومياء باللغات الأوربية والعربية على كل جثة محنطة.

ونظرا لندرة مادة المومياء الطبيعية وزيـادة الطلب عليها أخذ الإنسان يبحث بجدية عن مادة بديلة أقل تكلفة على أن تعطى تأثير المادة الطبيعية نفسه وذلك بقدرتها على علاج الجروح وشفاء الأسقام حيث كانت تستخدم فى علاج الصداع والصرع والدوار والمعدة والطحال، وهنا يؤرخ لنا الطبيب والمؤرخ العربى عبد اللطيف البغدادى فى القرن الثانى عشر الميلادى، فى مؤلفه: «الحياة الاجتماعية فى مصر» ليعرفنا

أن الإنسان جعل من المواد الراتنجية الصمغية السوداء التى توجد فى تجاويف الأجساد المحنطة مادة تقوم مقام مادة المومياء الطبيعية الفارسية كمادة مومياء معدنية، وكخطوة على الدرب قام باستعمال الأجزاء السوداء المصحونة والتى يحصل عليها من الأجساد المحنطة كمادة بديلة.

هكذا يوضح الدكتور المهندس فوزى حسين فى كتابه: [رحلة الخلود] عظمة المصرى القديم وحضارته وقدرته العلمية على التحنيط وفائدته.

■■■

كتاب: أطعمة الفراعنة غذاء وشفاء

للدكتور: عبد الفتاح عنانى

الطعام

من ضرورات الحياة، ولابد أن يعرف الإنسان ماذا يأكل؟ والأطعمة المفيدة لبناء جسمه وحيويته، والأخرى التى يمكن أن تسبب له الأمراض والأوجاع. وقد أصدرت دار المعارف ضمن سلسلة اقرأ الثقافية كتابا تحت عنوان: أطعمة الفراعنة غذاء وشفاء، تأليف عبدالفتاح عنانى، ويساهم الكتاب فى نشر الثقافة الغذائية حتى تعم الفائدة.

أجدادنا هم الذين قدموا الحضارة للإنسانية منذ فجر التاريخ، وضمن هذه الحضارة الأطعمة المفيدة والصحية مثل.. الفول، العدس، الحمص، الترمس، البسلة، اللوبيا، والحلبة، الثوم والبصل، وعندما زار أبو التاريخ «هيرودوت» مصر قال:

«عجبت للمصريين كيف يمرضون وعندهم الفول والثوم والبصل والليمون» هكذا عرف المصرى القديم أهمية الغذاء، وقد أثبت العلماء أهمية هذا الطعام للإنسان فى العصر الحديث لإمداده بالنشاط والحيوية ومقاومة الأمراض. إن الثوم والبصل الآن يستخدمه العالم كله لمقاومة الميكروبات والفيروسات وكمضادات حيوية طبيعية.. المصرى القديم كان

يتمتع بالصحة والعافية وقوة البدن لأن طعامه كان بسيطا، خاليا من الدهون، طازجا، غير معقد ولا مسبك ولا مقلى، كان يعشق السمك ويتناول الخضراوات والفاكهة الطازجة، وكان «الشى» هو وسيلة إنضاج الطعام.

فى آخر مؤتمر علمى عقدته الجمعية الطبية الملكية البريطانية، دعا علماء الغذاء إلى العودة إلى تناول الأغذية التى كان يتناولها «إنسان العصر الحجرى» منذ ١٥ ألف سنة، لأنها تعد الطعام الصحى السليم للإنسان حتى الآن.

وقال رئيس المؤتمر الدكتور: «بويد أيتون» أستاذ علم الإنسان بجامعة إيموري الأمريكية:

إن إنسان العصر الحجرى كان يعتمد فى غذائه على اللحوم الخالية من الدهون للحيوانات التى يصطادها، والخضراوات والفاكهة التى تنمو فى الطبيعة، ولم يكن يعرف الملح الذى اتضحت أضراره على صحة الإنسان مؤخرا، وأشار العالم إلى أن تناول الأسماك والطيور والريفية والأطعمة البحرية يمكن أن يكون بديلا جيدا لطعام إنسان العصر الحجرى.

ويضيف الدكتور محمد فهمى أستاذ ورئيس قسم الطعام بمعهد التغذية إن من مميزات غذاء إنسان العصر الحجرى اعتماده على اللحوم المشوية، ولذلك نادرا ما كان يعانى من السمنة والتى تعتبر الآن للأسف الشديد مرض العصر الحديث، فالكل يسرف فى تناول الطعام وبكميات ضخمة، وبخاصة المقليات والمحمرات بالسمن والزبد والزيوت، وكلها

دهون تضاف إلى جسم الإنسان دون أى فائدة وقد تسبب له العجز والمرض والوفاة. فتراكم كميات زائدة من الدهون فى الجسم تؤدى إلى إعاقه الحركة، وشعور الإنسان بأنه يحمل حملا ثقيلا ليلا ونهارا مع شعوره بالتعب والإرهاق وانقطاع النفس عند بذل أقل مجهود كصعود السُلم مثلا، بينما إنسان العصر الحجرى كان يتسلق الأشجار ويهبط فى خفة ورشاقة. والمؤسف أن السمنة تؤدى فى النهاية إلى إصابة الإنسان بأمراض القلب مثل الذبحة الصدرية وتجلط الشريان التاجى وتصلب الشرايين، وارتفاع ضغط الدم، والسكر، وأمراض المرارة، وتآكل غضاريف المفاصل نفرط ما تحمل من وزن.. ولأن إنسان العصر الحجرى لم يكن يعانى من البدانة لذلك لم يعرف هذه الأمراض على الإطلاق، كذلك لم يعرف إنسان العصر الحجرى مرض السرطان.

ويوضح المؤلف عبدالفتاح عنانى فى كتابه: «أطعمة الفراعنة غذاء وشفاء» أن إنسان العصر الحجرى ومصر القديمة لم يعرف الأغذية الميتة مثل اللحوم المجففة والمحفوظة فى العلب، ومعلبات السردين والسالمون والزبد الصناعى والمكرونة والسكر والدقيق، وجميع أنواع الحلوى والفطائر والبسكويت و «العيش الفينو»، فالدقيق الأبيض والسكر الأبيض والسمن كلها «غذاء ميت»، والعجيب أن الناس فى عصرنا الحديث يضيفون السمن إلى الدقيق إلى السكر ويصنعون منها الفطائر المتنوعة والعجائن حلوة المذاق مثل الكنافة والبسبوسة والبقلاوة. فيحرم الجسم من العناصر الحيوية مثل الفيتامينات وأملاح الكالسيوم.

علماء الغذاء فى العالم ينادون الآن بالعودة مرة أخرى إلى غذاء الفلاح المصرى القديم لضمان الصحة والحيوية والأمان، ويلخص الكتاب هذا الغذاء الذى كانت مائدة المصرى القديم عامرة به فى: الخبز الذى كان ١٥ صنفا زادت فى الدولة الفرعونية الحديثة إلى ٤٠ صنفا، البلح الذى يعتبر غذاء طبيا لعامة الشعب، وهو منبع المعادن والسكريات والبروتينات والفيتامينات.. والفول.. العدس.. الحمص.. الترمس.. اللوبيا.. البسلة.. الجرجير.. والخس.. الفجل.. الكُرّات.. البصل.. الكرنب.. القنبيط.. هذه الخضراوات كانت تؤكل طازجة أو مطبوخة بوضعها مدة قصيرة على النار حتى لا تفقد فيتاميناتها.

كذلك كانت مائدة أجدادنا الفراعنة عامرة بالبيض، وهو غذاء صحى كامل الجودة.. والعسل الأسود والأبيض، والأسماك المتنوعة مثل البلطى والبورى والبياض والشيلان والقراميط والسردين والتونة والرنجة والأنشوجة.

كل أطعمة أجدادنا هذه يمكن أن نتناولها وهى موجودة حتى الآن وتمنح الصحة والعافية والقوة والجمال.

■■■

كتاب: وصفات من المطبخ الفرعونى

تأليف: ماجدة المهداوى و عمرو حسين

تقديم: دكتور عبدالحليم نور الدين

ثقافة

الإنسان هى كل جوانب حياته، فهى النظم والقوانين التى تحكمه: والعادات والتقاليد التى يمارسها، والمعتقدات التى يؤمن بها، والفنون التى يسعد بها ويمارسها، وهى نوع الملابس التى يرتديها والمسكن التى يسكنها، وهى أيضا الطعام الذى يتناوله، وربما كان الطعام جزءا مهما من ثقافة الإنسان فهو الذى يعبر عن فقره وغناه وصحته وضعفه وأمراضه وقوته.

وعن المطبخ الفرعونى نتناول فى هذا اللقاء كتاب: «وصفات من المطبخ الفرعونى» تأليف ماجدة المهداوى وعمرو حسين ويقدم له الدكتور عبدالحليم نور الدين.

يحدثنا الكتاب عن أنواع الطعام فى مصر القديمة، وموقع الطعام عند المصرى القديم فى دنياه وآخرته، لأنهم كانوا يدفنون مع الميت بعض الطعام الذى يحبه اعتقادا منهم أن الروح ستعود إلى الجسد فى يوم ما ويأكل هذا الطعام. ويشرح الكتاب كيف كان يأكل الفلاح الفقير والملك والأمير؟ تقول مقدمة الدكتور عبدالحليم نور الدين:

[المصرى القديم كان يميل بطبعه إلى تذوق الطعام الجيد، وشجعه على ذلك وفرة الخير فى أرضه لكنه مع ذلك معتدلا. ففى نصائح مدونة لشخص يدعى «كانجى» قال: إذا جلست مع أناس كثيرين للأكل فانظر إلى الطعام بلا مبالاة، وإن كنت تشتهيه فإن ضبط النفس لا يكلف الإنسان أكثر من لحظة]. يعرفنا الكتاب على أدوات المطبخ القديم: أباريقه وكاساته وسكاكينه، وخطاطيف تعليق اللحوم، والرحاية والهون والكانون - وهو الموقد البسيط - وأوانى حفظ المياه والعجين. أوانى المصرى القديم كانت تخدم حياته ومماته.. قد تكون من الفخار أو الرخام وربما تغطيها أغطية من رقائق الذهب يشكلها وفق احتياجه للتخزين أو يصنع منها أباريق اللبن والبيرة وجرار النبيذ وقوارير حفظ الزيوت. أو يُدقق ويُنمق ويُشكل منها «المكاحل» وزجاجات العطر وحاويات الزيوت العطرية والمباخر. كان الخبز طعاما مشتركا ما بين الغنى والفقير.. يقتصر على الدقيق والملح والخميرة وربما التوابل عند الفقير ويضاف إليه الزبد والبيض عند الغنى وقد يُحليه بالعسل أو التمر أو يحدقه بالبقول والخضراوات، كانت هناك أنواع من الخبز مثل: الخميريت والملتوث والجرجوش والكسرة.

فى حالة فقره كان المصرى القديم يكتفى بالخبز والجعة مع بعض ثمار البصل والثوم والعدس والكُرّات والفجل والخس والخيار.

أكل المصريون الفراعنة على موائد صغيرة ضمت اللحوم والطيور والخضر والفاكهة، أكلوا ثلاث وجبات فى اليوم اجتمعت الأسرة فى واحدة منها على الأقل.

وكشفت النقوش الفرعونية عن تنوع الموائد ووفرة الولائم العامرة بالثيران المشوية والإوز وجرار الجعة والنبيذ وسلال الفاكهة وأنواع الخبز والحلويات كما فى رسوم إخناتون.. وذلك فى الطبقة العليا الأوفر حظا، وتحت هذه الطبقة تأتى الطبقة المتوسطة وتتكون من عمال البناء وبناة السفن والصناع. هؤلاء كانت لهم «جراية» أى مخصصات من اللحوم والأسماك والخضر والفاكهة مع الخبز والبيرة. أما الفلاحون فكانوا أقل الناس أو الطبقة الدنيا ولهم الخبز والبيرة وحصة صغيرة من الطيور. وكما لعب الطعام دورا فى حياة المصرى القديم، كانت له مكانته كقربان فى ولائم الدفن وفى المقبرة.. ومن أشهر قوائم القرابين لمعابد الآلهة ما وصلنا من بردية هاريس وهى هبات الملك رمسيس الثالث إلى معابد الآلهة وشملت: «خبز ناعم وفطائر على هيئة البقر وجعة وفاكهة وشهد وبلح وخبز أبيض مستطيل وشحم وبلح مجفف وزبيب ولبن وزيت وفول مقشر وزبدة وماعز وإوز وعجول».

أما ما كان يصطحبه المصرى القديم معه إلى العالم الآخر من طعام فقد كان على رأسه قطع اللحم البقرى والحبوب وقد عثر فى إحدى مقابر منطقة سقارة والتى تعود إلى الأسرة الثانية على وجبة جنائزية داخل المقبرة حوت: «رغيف من الخبز وعصيدة وسمكة مطهية وحساء حمام وسمان مطهى وكليتان مطهيتان وضلوع بقر وفاكهة مسلوقة ونبق طازج وفطائر عسل وجبن وإناء من الخمر»..

ويعلق مؤلفا الكتاب ماجدة المهداوى وعمرو حسين على هذه الوجبة الجنائزية قائلين: «تصور عزيزى القارئ شعبا يعرف شوربة الحمام

من ألوف السنين ويسلق الفاكهة (أى يصنع منها كمبوت)، وفطائر عسل (مثل الباتيه).. ثم يضيف المؤلفان: لعلها فرصة أن نقتبس من الكتاب قائمة متكاملة لوليمة أو عزومة مصرية فرعونية ما زالت هى نفسها ما يمكن أن يقدم اليوم.. أما قائمة طعام هذه العزومة فهى:

أولا: طاجن بامية باللحم الضانى.

ثانيا: عصيدة شعير، وتتكون من جمار أى قلب النخل الملح، رقاق وبطاطا حمراء مشوية.

ثالثا: رغيف البلح على شكل تمساح.

رابعا: قهوة بالقرنفل.

يقول كتاب «وصفات من المطبخ الفرعونى»: ما زال صعيدنا يأكل خبز الزلوط – البتاو – والعيش الشمسى الملتوت فى أسيوط، والمتلوت أيضا فى أخميم وسوهاج، وهناك أيضا الفايش والقُرص والعيش المنطط والفطير الأبيض فى المنيا، أما الجدود فقد عرفوا خبز القرابين الأبيض على شكل قمح أو دائرة أو بيضاوى أو مثلث، وقد تناولوه رفيعا ومقعرا، ورَفعوا حواف الرغيف ليشبه (البيتزا) ولفوه مثل «السويس رول» وصنعوا طبقتين بينهما حشو مثل السندويتش، وعملوا منه كعكا فى صور إوز وبقر وفرس النهر وخنزير، وفى عصور اليونان والرومان أضافوا إليه السمسم والينسون.

يعود بنا الكتاب بعد ذلك إلى الحافظة التاريخية للصعيد فيعرفنا أنها حاوية الاستمرار، فطرق طهى الطعام الصعيدى فى كثير منها

لم تتغـير ومنها: السـمك المشـوى بالـردّة الذى يخـرج ليطش بالملح والثوم، وسمك القراميط المشـوية وطاجـن الجرجور وهو نوع من سمك الثعابين المدفون مع الفريك والشـلولو أى الملوخية الناشـفة، والبورمة أى خضراوات فى البرام بالصلصة، أو برام الويكة وهى البامية الكبيرة الحجم، وشوربة العدس والبصارة والكشْك الصعيدى الذى هو كُرات من القمح الأخضر مضافا إليه اللبن والذى يجفف فى الشـمس ليستعمل فى أى وقت. كل هذا ومعه الكركديه وشراب الدوم والتمر هندى قادم إلينا من أجدادنا الفراعنة ومستمر.

المطبخ المصرى الفرعونى بشكل عام تأثر بالظروف السياسية التى مرت بها مصر، ففيه نكهة تركية بحر متوسطية لكنه على الأقل فى صعيد مصر ظل مصريا خالصا.

■■■

كتاب: الوحدة الوطنية قصة إبداع مصرية

تأليف: محمد السيد عيد

العصب

الحساس فى نسيج الأمة المصرية إنما هو فى وحدته الوطنية، لأنه أرهف عصب يمثل الاستقرار لهذا البلد، ولذا لن نعدم محاولات مستميتة من أعدائه لزعزعة سكون هذا العصب وإضعاف خيوطه لتقويض النسيج الوطنى. والشعب المصرى هو نسيج واحد حتى من الناحية الجسمية البيولوجية، فقد أجرت العالمة الأمريكية «مرجيت كاتدل» بحثا على جينات الشعب المصرى استمر خمس سنوات اختارت عيناتها من كل طوائف الشعب، وتوصلت بعد ذلك إلى نتيجة مبهرة تقول: إن ٩٧٪ من جينات المصريين واحدة ملائمة، وهو ما يؤكد أن الشعب المصرى فعلا نسيج واحد وشعب واحد على مرّ التاريخ.

فى هذا المجال أصدرت دار المعارف كتابا ضمن سلسلة الكتب الثقافية تحت عنوان: الوحدة الوطنية قصة إبداع مصرية، تأليف الكاتب والسيناريست: محمد السيد عيد. يقول المؤلف: «شاءت الأقدار أن أولد فى حى غيط العنب بالإسكندرية، وهو حى تسكنه نسبة عالية من المسيحيين، وحين أدركت ما حولى وجدت نفسى أسكن فى منزل صغير مكون من أربع شقق، ثلاث منها يسكنها مسيحيون، وليس

بالمنزل كله من مسلمين سوى أسرتى. كانت الأسر كلها ترتبط بعلاقات جميلة، إلى حد لا أكاد معه أن أشعر بفرق، ولم يكن يفصل بين هذا البيت وكنيسة مارجرجس غير بيت واحد. وحين صرت فى سن المدرسة أدخلتنى أسرتى مدرسة شباب الإصلاح القبطية الأرثوذوكسية، وأذكر أنى وجدت معظم التلاميذ فى هذه المدرسة من المسلمين. كانت بنت صاحبة المنزل الذى نسكنة مُدَرِّسة فى المدرسة، ولذا اختارتها أمى لتقوم بالتدريس لى ولإخوتى، وقد ظللت على علاقة بهذه المدرسة طوال عمرها، كنت أعاملها باعتبارها خالتى وتعاملنى باعتبارها أمى»..

هكذا يصف الكاتب محمد السيد عيد طفولته وكيف كانت مصر أسرة واحدة والشعب نسيجا واحدا؟ وهى ظاهرة وحقيقة يعرفها كل من عاش هذا الزمن الجميل.

وعن العلاقات الاجتماعية القوية بين الأسر المختلفة يقول المؤلف: أذكر أن سكان البيت كانوا لا يأكلون أى حلوى يصنعونها وحدهم بل ترسل الواحدة منهن طبقا مما صنعته لكل جارة، فتحجز الجارة الطبق لديها حتى تصنع شيئا من الحلوى ثم تعيده مملوءا.

يذكر المؤلف ذكريات كثيرة عديدة عن الأخوة والصداقة التى ربطته وتربط كل المصريين ببعضهم سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين ففى الواقع كلنا مصريون، وقد كانت هذه الذكريات والتاريخ والعلاقات الطيبة من أهم الأسباب التى دفعته لكى يكتب هذا المؤلف الذى بين أيدينا ونستعرضه معا وهو كتاب: الوحدة الوطنية قصة إبداع مصرية..

وهو يذكر أن هناك سببان آخران لذلك هما:

أولا: اعتقادى أن وحدتنا الوطنية مهددة، وآية ذلك أن رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق حين أنهى خدمته ألقى كلمة قال فيها: إن ما فعله بشأن خلق توتر العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر لن يزول أثره إلا بعد عشرات السنوات.

ثانيا: إحساسى بخطورة الأحداث المتتالية التى تضرب مصر، وبخاصة بعد ثورة يناير، حيث يريد أعداء هذا البلد أن يدخلوه فى صراع لا ينتهى من خلال الفتنة الطائفية. الكتاب من القطع الصغير ويقع فى ٢٠٠ صفحة وبضع وينقسم إلى ستة فصول:

الفصل الأول: المسيحية والمسيحيون فى القرآن الكريم والسنة النبوية.

الفصل الثانى: السيدة العذراء والمسيح عليهما السلام فى القرآن والسنة.

الفصل الثالث: مسيحيون فى تاريخ مصر الإسلامية.

الفصل الرابع: مسلمون فى تاريخ المسيحيين المصريين.

الفصل الخامس: الاحتفال بالأعياد المسيحية فى مصر.

الفصل السادس: المسيحيون وثورة ١٩١٩م.

يشرح الكتاب معنى كلمة قبطى التى يخلط الكثيرون بينها وبين كلمة مسيحى، فالواقع أن كل المصريين أقباط، لأن الأقباط هم أهل مصر جميعا مهما كانت ديانتهم، أو حتى قبل نزول الأديان. إن الآشوريين عرفوا مصر باسم «سيكو بتاح» وهو الاسم الذى كان يطلقه المصريون على

عاصمة ملكهم (منف)، ومعناه: بيت روح بتاح، فلما سمع اليونانيون هذا الاسم نطقوه حسب لغتهم «إيجبتوس» وقد ورد هذا الاسم كثيرا فى شعر هوميروس أكبر شعراء اليونان، فإذا حذفنا علامة الرفع اليونانية فى آخر الكلمة، وهى أوس نتجت لنا كلمة إيجبت، المستعملة، فى اللغات الأوربية كذية عن مصر، وهى مركبة من كلمتين هما «أى» بمعنى أرض أو دار، وجيبت أى قبط، فيكون معنى الكلمتين أرض القبط.

ويستشهد محمد السيد عيد بالقرآن الكريم على حسن العلاقة بين المسلمين والمسيحين بما جاء فى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ [سورة المائدة: الآية ٨٢].

كما أن القرآن الكريم يسمى إحدى سوره باسم (مريم) تأكيدا لمكانتها واحترامها. وأن الله سبحانه وتعالى يصفها فى القرآن بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٤٢].

يحفل الكتاب بذكر نماذج تاريخية، إسلامية ومسيحية، حافظت على روح المحبة و لحفاظ على النسيج الوطنى وتقويته، فها هو ذا الليث بن سعد يكاتب هارون الرشيد لعزل والى مصر، الذى أمر بهدم الكنائس التى بنيت بعد دخول الإسلام، وهذا هو الأب بنيامين يرحب بدخول عمرو بن العاص مصر، وذاك مهندس مسيحى يبنى جامع

ابن طولون. وهل ينسى التاريخ أحمد بن طولون الذى اعتنى بمصر وتقدم بها وجعلها دولة مستقلة وحبه للمسيحيين وإنصافهم وزياراته المتكررة لدير القصير المعروف الآن بدير العريان الموجود فى المعصرة بالقرب من حلوان، كذلك اشتهرت الأميرة ست الملك ابنة الخليفة العزيز بالله الفاطمى، والأخت الكبرى للحاكم بأمر الله بأنها نصيرة النصارى.

لا يستطيع أى كاتب ومؤلف أو مؤرخ أن يكتب عن الوحدة الوطنية فى مصر دون ذكر ثورة ١٩١٩م التى كانت علاجا لاحتقان طويل ساد بين المسلمين والمسيحيين، حيث شعر المسيحيون بأنهم شركاء فى الوطن، بلا تمييز، ولا تفرقة. وارتضى المصريون جميعا شعار: الدين لله والوطن للجميع..

ويذكر المؤلف بعض الأسماء المسيحية المهمة التى اشتركت فى الثورة من قادة الرأى وأعضاء الوفد.. منهم:

[سينوت بك حنا - ويصا بك واصف - فهمى بك حنا ويصا-أمين بك خياط - شكرى بك بطرس - عزيز مشرقى - سامح أخنوخ فانوس - شكرى بك بطرس - إبراهيم تكلا - راغب إسكندر - الدكتور نجيب إسكندر باشا - وليم مكرم عبيد - الدكتور إبراهيم فهمى المنشاوى باشا].

وفى نهاية الكتاب يقول مؤلفه محمد السيد عيد:

«فى رأيى أن أهم أركان الحياة فى مصر المعاصرة هى النيل ثم

الوحدة الوطنية ثم تبنى مشروعا للنهضة؛ فالنيل سر الحياة، والوحدة الوطنية هى سر الاستقرار، والتعاون، والبناء، والتنمية. أما أساس النهضة فهو وجود مشروع قومى يلتف حوله الناس، ويبذلون كل غال ورخيص ونفيس من أجل تحقيقه.

■■■

كتاب: حواديت

تأليف: فكرى أباظة

من كُتَّاب مصرَ الكبار فى القرن العشرين، الكاتبُ الصحفى الساخر فكرى أباظة، فى عام ١٩٦٩م أصدر آخر كتبه تحت عنوان «حواديت» يعرضُ فيه ذكريات ٦٣ سنة فى السياسة والحرب والصحافة والأدب، كما يكتب فيه عن نفسه وحياته.

يحوى الكتاب بين دفتيه ستا وأربعين (حدوتة) غير بعض المقالات القديمة، ويشرح الكاتب لنا سبب تسميتَه الكتاب بحواديت فيقول:

فى هذا الزمن السريع اللهوف لا يطيق عامة الناس بل ربما خاصتهم صبرا على قراءة الكتب والمجلدات والموسوعات وهم يفضلون عليها قراءة خاطفة مختصرة، لذلك كتبت (حواديت) عنى وعن غيرى تحمل ذكريات السنين.

يبدأ الأستاذ فكرى أباظة كتابه بنشر مقال سابق له بعنوان: (آلامى وأحلامى) نشرعام ١٩٤٨م يقول فيه: «أنا متألم لأن هذه البلاد وقد بلغت ثروتها وخصوبتها ويسرهُا مبلغ الحسد والغيرة.. وقد بلغ عدد سكانها ما يزيدُ على الثمانية عشرة مليونا من النفوس.. وهى عصبية وعصبة قوية - كان هذا عام ١٩٤٨م - وقد توسطت الشرق والغرب وسيطرت على مسالك الجو والبر والبحر، وقد حشدت داخل الدواوين

الحكومية وخارجها عددا كبيرا من النوابغ والعباقرة والمبرزين.. هذه البلاد وقد حباها الله تلك الثروة المادية والمعنوية لا تزال بعيدة عن أن تحتل مكانتها وتتربع على عرشها وتشق طريقها فى مقدمة الصفوف. أنا متألم لأنه بالرغم من هذا اليسر والخصب والرخاء لا تزال الأغلبيّة الساحقة تعانى آلام الجوع والجهل والمرض وأنا شريك فى هذه الآلام. أنا متألم لأننا نستطيع أن نؤلف دولة عسكرية ولا نفعل، دولة صناعية ولا نفعل، دولة تجارية ولا نفعل، أنا متألم لأن الشلل العام أصاب الرؤوس، واضمحل ثمانية عشرة مليونا من النفوس لأن عشرة منهم أو خمسة عشرة أصابهم الشلل الذهنى والقلبى والوجدانى فقتلوا بلدهم، وأعدموا وطنهم بسبب نزاع ضئيل هزيل عليل حول الحكم ومجد الذات لا مجد الوطن»..

وينتقل بنا الكاتب الكبير فكرى أباظة فى آخر كتاب له، إلى الحديث عن آلامه وأحلامه الشخصية فيعبر عن مدى حبه الجنونى للأطفال. ولكنه للأسف لم يتزوج، بل هو يندب حظه لأن الفرصة فاتته فهو ينصح بألا يتزوج الإنسان بعد الخامسة والأربعين، وكانت نتيجة عدم زواجه وإنجابه الأطفال زيادة آلامه أيضا، فالذين ليست لهم زوجة وليس لهم أولاد يتألمون للغير كما لو تألموا لزوجاتهم وأولادهم تماما..

هكذا يعبر كاتبنا الكبير فى كتابه الأخير: حواديت، عن المجتمع المصرى قبل الثورة الذى كان يعيش فيه متألما من وجود الاحتلال الإنجليزى الذى لم يسمح له بالتقدم أو بناء دولة قوية صناعية

أو تجارية. وبين صفحات الكتاب يسود فكرى أباظة أدلة كثيرة على فساد الحكم قبل الثورة، وعلى قسوة الاحتلال فيذكر أن عدد الموظفين الإنجليز فى ذلك الوقت كان ثلاثة أضعاف عدد الموظفين المصريين، وكانت الحكومة تطرد المصريين لتتيح الفرصة للموظفين الإنجليز، وأغرب من ذلك أن الموظفين الإنجليز لم يكونوا مؤهلين للعمل فقد كان الكولونيل كندى مدير عام الرى بالسودان، لا يعرف فى الرى أو الهندسة أى شىء.

ويروى الأستاذ فكرى أباظة أن طالبين مصريين كانا يدرسان فى إحدى الكليات بإنجلترا وكان معهم زميل إنجليزى فاشل لم يستطع تكملة دراسته، بل خرج من السنة الأولى، واستمر الطالبان المصريان فى الدراسة حتى نالا الشهادة النهائية فى الهندسة، وشاءت الأقدار أن يتقدم الثلاثة للتوظف فى مصر وفى مصلحة واحدة وبلدة واحدة وكانت النتيجة أن عُين الإنجليزى خريج السنة الأولى رئيسا على المصريين الحائزيين الشهادة النهائية!

ويؤكد المؤلف أن الفساد كان أساس الحكم. فالكلمة الصريحة أو كلمة الحق تعتبر عيبا فى الذات الملكية. والرشوة أساس للتوظيف. ومن الطريف أن الأستاذ فكرى أباظة يعترف بأنه شارك فى هذه الرشوة حتى يحقق مصالح شخصية له. فقد دفع (ريالا) أى عشرون قرشا حتى ينجح فى كشف النظر ونجح فعلا!..

ودفع ريالا آخر كرشوة لتغيير موعد استلام طلب القرعة.. وريالا ثالثا لتغيير تاريخ ميلاده حتى أصبح نائبا عن الأمة.. ومع هذا يعترف

الكاتب أيضا أنه يشعر دائما بأنه ارتكب خطأ جسيما لأنه رشى ويطلب المغفرة من الله.

يحتوى الكتاب على حواديت كثيرة طريفة يذكرها المؤلف لا للتسلية، بل لما فيها من لمحات نقد لبعض العادات السيئة.. من هذه الحواديت:

أنشأ بعض شباب الأباظية جمعية أطلقوا عليها اسم.. «جمعية الدباغين» وكان هدفها اصطياد الولائم فى بيوت الأسر العديدة، كانت هذه الأسر تنافس فى إعداد الولائم لأعضاء الجمعية، فكانت تقدم لهم.. الخراف والديكة الرومية والحمام والبط والإوز والحلوى وغير ذلك، وكان أعضاء الجمعية يفوزون بمبلغ من المال إذا التهموا كل الطعام الذى يقدم لهم، كانت النتيجة أن أكثر أعضاء جمعية الدباغين هذه ماتوا فجأة وهم فى شرخ الشباب.

ويعلق الأستاذ فكرى أباظة على هذه الحدوتة قائلا: العيب ليس عيب جماعة الدباغين، وإنما هو عيب مصرى عام يتفشى فى أغلب الأسر المصرية، كثرة الأكل ومضاره الصحية، وكثرة الاستهلاك ومضاره القومية التى نعانى منها هذه الأيام، كثرة الأكل، وكثرة النسل نكبتان وطنيتان قوميتان فادحتان..

وعلى طريقته الساخرة يكتب فكرى أباظة زجلا فيقول:

طول ما «الطاجن» ورانا والصينية والبرام
والعزايم يا هنانا مفرود قلوعها والزمام

هـو ده أسبـــاب عيانـــا انتحـــار مفـــيش كـلام
لو كل مصـــرى خد مؤونته بالأصـــول مش بالدنـــاوة
م السعيش واللحمة كفـايته والـرز والسكر والحـــلاوة
كـــان وطننـــا من حصيلته كفـــى.. وصدرنـــا العـلاوة
مصر عمـرانة بخيرهـــا حـاجتين بـس مبوظينهـا
الـنسل والخـلفة لآخرهـا والأكـل اللى فوق طـاقتها

وعـن الصحافة كتب فكـرى أباظـة ذكرياتـه وآراءه المختلفة فى فنونها.. وقد خدم الأستاذ الصحافة مدة خمسـين سنة، كتب خلالها فـى عدة صحف ومجلات، منها صحيفـة الأهرام، ومجلة المصور التى رأس تحريرهـا، ومن رأيه أن الصحافة لا يجوز لها أن تتعرض للأمور الشـخصية والعائلية للأشخاص.. كذلك يرى الأستاذ فكرى أباظة أن كاتب القصة يجب أن يهتم بالواقع الذى يغذيه بشكل أكثر من الخيال.

وكان كاتبنا الكبير لا يحب الإطالة فى قصصه، بل يهتم بكتابة القصص القصيرة، ولعل هذا هو أسلوبه العادى حتى فى كتابه الذى نعرض له وهو كتاب: حواديت.

■■■

كتاب: هموم ثقافية

تأليف: يحيى حقى

يعد الأدب قيمة مهمة فى حياة الشعوب بعد أن استقر على قمة الإنجازات لبشرية، باعتباره راصدا لعقل ووجدان وأفكار وآمال الأمم، والمعبر الأقوى عن حيوية المجتمع فى التعبير عن أفراحه وأتراحه من خلال ذلك التمازج العقلى والوجدانى فى الإطارات الإبداعية المختلفة، والتى يتم التعبير عنها بالعديد من القوالب الأدبية: من القصة القصيرة والرواية والمقال والمسرحية والقصيدة الشعرية والنثرية. وفى هذا المجال نجد الأدب العربى كأمثاله من الآداب العالمية قد استطاع أن يأخذ له مكانة ترقى لمصاف الآداب المتميزة، نظرا لحجمه ولتنوعه الإبداعى الذى أفاد البشرية بما قدم من قيم فكرية لغوية ومعرفية وإمتاعية، وكذلك لوجود أدباء مصريين وعرب عمالقة مثل الدكتور طه حسين، الأساتذة: عباس محمود العقاد، عبد القادر المازنى، نجيب محفوظ، إحسان عبد القدوس، يحيى حقى، يوسف السباعى، صلاح عبد الصبور، الدكتور محمد مندور، د. لويس عوض، سلامة موسى وغيرهم.

وقد صدر حديثا كتاب للأديب الكبير يحيى حقى تحت عنوان «هموم ثقافية» اهتدت ابنته نهى حقى مع الأستاذة داليا محمد

إبراهيم بإصداره على أن تكون نواة لإصدار كل أعماله حتى يستفيد الجيل الجديد من أدب وفكر يحى حقى أحد كبار أدباء مصر فى القرن العشرين. يتضمن الكتاب نبذة عن حياة أديبنا الكبير وأهم أعماله: ولد يحيى حقى فى السابع من شهر يناير سنة ١٩٠٥م، وتوفى فى التاسع من شهر ديسمبر سنة ١٩٩٢م. عمل كوكيل نيابة فى صعيد مصر، ثم انتقل بعد ذلك للعمل فى وزارة الخارجية، تعلم عدة لغات مثل الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والتركية..

اشتهر يحيى حقى بالكتابة الأدبية فى فروع مختلفة مثل المقالة والقصة القصيرة والرواية واللوحة الأدبية والنقد الأدبى والنقد الفنى.

استوحى من عمله بالنيابة بعض أعماله الأدبية الشهيرة والتى تحول بعضها إلى أفلام سينمائية وتليفزيونية مثل «البوسطجى»، «قنديل أم هاشم» وغيرهما.

أصدر يحيى حقى ٣٤ مؤلفا فى شتى الألوان الأدبية منها: أنشودة للبساطة، قنديل أم هاشم، كُناسة الدكان، مدرسة المسرح، من فيض الكريم، خليها على الله، حقيبة فى يد مسافر، ناس فى الظل، دماء وطين، عطر الأحباب، عشق الكلمة، أم العواجز، دنيا، قنديليات، امرأة مسكينة، وكتاب «هموم ثقافية» الذى بين أيدينا الآن ونستعرضه معا، وهو يشمل هذه المعلومات التى قدمناها لكم حتى الآن.

فى بداية الكتاب يتساءل يحيى حقى عن معيار الثقافة، ويقول إن أغلب الاحتمال أن كلمة «أدب» فى اللغة العربية كانت فى الأصل

لا تعنى إلا تغذية البدن، فيقال أدّبَ فلان «بفتح أو تسكين الدال» بمعنى صنع مأدبة، ثم أصبحت تعنى أيضا (تغذية الروح والعقل).

فالأدب فى القاموس هو رياضة النفس بالتعليم والتهذيب والأخذ بمحاسن الأخلاق، فلا تنفصل الأخلاق عن العلم، ولا الروح عن العقل ولا الفرد عن المجتمع، ثم أصبح يقال أيضا: الأديب هو من أخذ من كل علم طرفا، أى صاحب النظرة الشاملة.

وهكذا أصبح الأدب معيار نضج العقل والروح معا، له وظيفة اجتماعية فى تربية الحس والذوق والنشأة والتشجيع على حسب الجمال.

ثم انحدرت كلمة الأدب فأصبح معناها قاصرا على التبحر فى علوم اللغة وفنون القول من نثر وشعر، وقامت بذلك شبهة انفصالها عن هموم الروح، ثم ازداد انحدارها فأصبح إذا قيل عن فلان إنه أديب ارتسمت صورة رجل ظريف يعمل على تسلية الناس، ومن هنا أطلقوا عليه لقب «أدباتى» وهى نوع من الاستخفاف والهزل، وهكذا انحدر معنى الأديب من أعلى إلى أسفل سافلين.

وفى مطلع القرن العشرين استحدث الكاتب سلامة موسى كلمة «ثقافة» وهى مأخوذة من فعل «ثقف» نقول ثَقّف الرجل الشيء – بتشديد القاف – ومعناها أقام المعوج منه وسواه، واحتلت كلمة الثقافة اللغة بدلا من الأدب.. وهنا يقول الكاتب يحيى حقى فى كتابه «هموم ثقافية»:

وقد آن الأوان لأن نلح إلحاحا شديدا على تفهيم العامة بأن الثقافة تتضمن كل المعانى التى كانت تتضمنها كلمة «أدب» فى عز مجدها،

وهكذا إذا أردنا أن نحكم على رقى المستوى الثقافى فى الأمة، لا نكتفى بإيراد إحصائية عن عدد الكتب المطبوعة أو عدد رواد المتحاحف والمعارض، فقد تكون وفرة العدد خادعة..

ويستطرد كاتبنا الكبير يحيى حقى قائلا: «ولو سألتنى ما هو أصدق معيار لارتفاع مستوى الثقافة؟ أقول: حين أدخل حديقة الحيوان صبيحة عيد شم النسيم؟ فلا أجدها كأنما مرّ بها إعصار مدمر، أو أجد الحدائق الأخرى وقد تحولت إلى مقلب قمامة، أو حين أجد حياة المثقف فى بيته أو فى معاملته مع الناس تنم عن ذوق مهذب معتدل، يورث صاحبه طموحا إلى الرقى، أو حين تختفى الجرائم البشعة التى لا تزال تصم المجتمع بالتخلف الحضارى».

ويتجول بنا الكاتب بين الهموم الثقافية المختلفة، فيحدثنا عن اللب والقشور، أهداف العمل الثقافى، مطية الثقافة، الأسرة والمدرسة، حرمة الجامعة، عود إلى التثقيف والتعليم، من باريس إلى قوص، بيوت الثقافة فى فرنسا، مفهوم جديد للثقافة، وسائل الإعلام كمصدر للثقافة ومن هنا نبدأ.

فى هذا الفصل تحت عنوان: من هنا نبدأ يتحدث كاتبنا عن كيف نواجه التخلف الذى نعانى منه للأسف؟ يقول يحيى حقى: الجواب واضح لا يحتمل الاختلاف، نبدأ من المدرسة الابتدائية، أتمنى أن نركز عليها كل اهتمامنا، إنها الحجر الأساسى، إذا لم يكن متينا فيسظل كل بناء يقام فوقه مهزوزا، مرحلة الطفولة هى مرحلة تفجر

قوى مذهل: اكتشاف العقل لقدراته، انبعاث النهم للمعرفة، مواجهة الحياة بالكشف المتجدد لا بالتسليم بمسبقات مقررة.. من هنا أقول إن المدرسة الابتدائية هى المساحة التى لا مفر منها لطرح أخطر القضايا ونتلمس لها أفضل الحلول: قضية التوفيق بين التلقين والابتكار، بين الذاكرة والفهم، وكذلك التوفيق بين القومية والعالمية..

ويستطرد كاتبنا الكبير يحيى حقى قائلا: الترتيب المنطقى المعقول أن التلميذ ينبغى أن يعرف أولا بيته وكل شىء فيه قبل أن يخرج منه ليعرف العالم، أريد لابنى أن يكون أولا مواطنا مصريا قبل أن نطلب منه أن يصبح أيضا مواطنا عالميا، أن يتعلم أولا لغته، فهى الرابطة بينه وبين تراثه، أن يعرف بلده وموقعه فى العالم، أن يعرف تاريخ بلده، ومن خلال نبات مصر ننبه التلميذ لعلم النبات، ومن خلال حيوانها ننبهه إلى علم الحيو ن.

ثم يطالب كاتبنا ،يضا بأن نُعَّلم تلميذ المرحلة الابتدائية لفة أجنبية، فهذا هو التمهيد لأن يكون مواطنا عالميا. وكذلك لابد أن نستعين فى المدرسة الابتدائية بـحدث الطرق العلمية كالوسائل السمعية والبصرية والأفلام التسجيلية، إن تجهيز المدرسة الابتدائية بهذه الوسائل لا يقل خطرا عن إعداد المعلم الصالح للتدريس، المعلم والمدرسة، كيف نعدهما معا فى وقت واحد؟ هذه هى المعادلة الصعبة.

■■■

كتاب: اليُمنى واليُسرى

للباحث الإنجليزى: ماك مانوس

يكتب معظم الناس بيدهم اليمنى والبعض القليل بيدهم اليسرى وهم من يطلق عليهم «أعسرون» وينزعج الأهل وأولياء الأمور عندما يجدون طفلا من أطفالهم يكتب بيده اليسرى، ويحاولون مرارا وتكرارا إرغام الطفل على الكتابة باليد اليمنى ولكن محاولاتهم «للأسف تفشل» ويشب الطفل على الكتابة بيده اليسرى رغما عنهم ورغما عن نفسه.

وهذه مشكلة تعرض لها كُتاب كثيرون ودراسات وأبحاث عديدة تحاول الوصول إلى حقيقة الأعسر، وفى كتابه: «اليُمنى واليُسرى» يرى الباحث الإنجليزى «ماك مانوس» أن أكثر الذين يستخدمون اليد اليسرى هم الأكثر ذكاء وإبداعا. وهذا واضح عند كثير من رجال السياسة والفن منهم: يوليوس قيصر، عمر بن الخطاب، الإسكندر الأكبر، نابليون وزوجته جوسفين.. والبطلة جان دارك.

والرؤساء: ريجن، بوش الأب، كلينتون، ولاعب الكرة العالمى [بيليه] ومن الفنانين: مارلين مونرو الممثلة المعروفة، ونيكول كيدمان وفنانو عصر النهضة «ليوناردو دافنشى» و «مايكل أنجلو».

والواقع أن هناك تماثلا فى جسم الإنسان فكلُ جزء فى جانب منه له نظير فى الجانب الآخر من حيث الحجم والشكل والموضع. فوجهك

متماثل عَينُ إلى اليمين وأخرى إلى اليسار. أذن إلى يمين وأخرى إلى يسار، والحاجبان متماثلان يمينا ويسارا.

وهناك ذراع إلى اليمين وذراع إلى اليسار، والقدمان متماثلتان.

وإنك لواجد فى الكثرة الكبرى من الناس أن اليد اليمنى أضخم من اليد اليسرى وأقوى مَسكا للأشياء وأكثر حذقا عند الأداء.

يقع هذا فى ٩٦٪ من الناس وهم الأيمنون والبقية الباقية أعسرون والطفل منا يبدأ فى استخدام يديه اليمنى واليسرى على السواء. ثم ما هى إلا أشهر تزيد أو تنقص، حتى يظهر فيه أثر الميراث الغالب، فإذا به يميل إلى استخدام يده اليمنى أكثر من اليسرى فى الكتابة خاصة، وهو يتبع فى ذلك الغلبية الكبرى من بنى الإنسان وهو لا يدرى..

ويحاول الآباء عندئذ أن يثنوا أبناءهم عن استخدام يدهم اليسرى إذا استخدموها بدلا من اليمنى، وهم على حق فى هذا، إذا حاولوا ذلك بالتودد والإغراء، أما الغصب فيرى الكثير من علماء التربية أنه كثيرا ما ينتهى بالفشل بل أحيانا يؤدى إلى «فأفأة» تصيب اللسان عند الكلام.

ويقول الباحث «ماك مانوس» فى هذا الكتاب أيضا أن اليسارى قد خالف الكثرة فقد صممت وصيغت الأشياء فيه لليد اليمنى لا لليسرى كأكر الأبواب والنوافذ (المقابض)، وأزرة الأقمصة وسائر الملابس والماكينات وسائر الآلات صنعت ليديرها الإنسان بيده اليمنى، وحتى الآلات الموسيقية مصنوعة لتلعب عليها اليد اليمنى.. مشكلة الأعسر أن العلم مبنى بطريقة لا تريحه، معظم الأدوات وأجهزة العمل مصممة باعتبار أن المستخدم أيمن وهناك خرافات مرتبطة بمثل هذه الفروق التافهة بين

الناس.. الأيمن والأعسر؛ ففى ثقافات شعوب كثيرة هناك فروق تميز بين الأيمن والأعسر ترقى إلى درجة الارتباط بالشيطان وجهنم وغيرها. وحتى هذه الفروق موجودة فى اللغة فاليمين يرمز لكل شىء طيب واليسار يرمز لعكس هذا المعنى، فأهل اليمين أهل حق، وأهل اليسار أهل باطل، والميمنة هى البركة، والميسرة عكسها، وحتى فى السياسة جعلوا الناس من حيث عقائدهم أيمن وأيسر والعقائد نفسها يمينية ويسارية وحتى عندما يدعو أحد على نفسه يقوله: شُلَّت يَمينى، ولا نسمعه يقول شُلَّت يَسارى، وهذا يدل على أن يده اليمنى عنده أعز وأغلى.

ونحن نعلم أن كل المهارات التى تكتسبها اليد، وغير اليد إنما مقرها المخ، فهو بادئها، وهو ضابطها، وهو المضيع، لها إذا ضيعت، والشىء الذى لابد أن يعرفه كل إنسان أن المخ نصفان متماثلان، ظاهرا، يمين ويسار، وأن النصف اليمينى من المخ هو ضابط كل حركات الجزء الأيسر من الجسم فإذا اكتسبت اليد اليمنى مهارة فوق اليسرى، فمعنى هذا أن النصف الأيسر من المخ زاد على الأيمن كفاية وحسن أداء ويصاب النصف الأيسر من المخ بالأذى فيشل من الجسم نصفه الأيمن، ويصاب النصف الأيمن من المخ فيشل من الجسم نصفه الأيسر.

ويعرض المؤلف لأحدث الدراسات عن هذه الحالة فيقول «جاءت دراسة حالات أكثر من ١٠٠ طفل أعسر لمدة خمس سنوات لتؤكد عدم وجود علاقة بين القصور العقلى والكتابة باليد اليسرى، كما أكدت أن مستوى الذكاء لدى الأعسر لا يختلف عن العادى، بل كانت هناك نسبة ذكاء أعلى لدى بعض الأطفال الذين يكتبون باليسرى، وتحذرنا الدراسة

من الضغط على الأطفال لتغيير طريقتهم فى الكتابة إلى اليمنى، حيث إن لذلك تأثيرات خطيرة على المخ، يترتب عليها خلل فى الذاكرة، والنطق، ويؤدى فى بعض الحالات إلى التبول أثناء النوم، وعلى الآباء والمعلمين أن يدركوا أن ضرورة الكتابة باليد اليمنى ما هى إلا معتقد قديم اعتدنا عليه نظرا لأن الغالبية العظمى تستخدمها. الأهم من ذلك أن هذه العملية مرتبطة بنصفى المخ فحركة أعضاء الجسم مرتبطة بالجزء المقابل لها فى المخ، وبالنسبة للأعسر يعد النصف الأيمن للمخ هو المحدد الأول للميول واتجاه الفكر، وهذا يفسر سبب وصف الأعسر بأنه يتميز عادة بالإبداع، وبشكل كبير.

وتقدم الموسوعة العربية العالمية بعض النصائح لمستخدمى اليد اليسرى فتقول: ربما يجد مستخدمو اليد اليسرى مشاكل فى حروف الكتابة التى يبدو أنها صممت لتناسب مستخدمى اليد اليمنى، يجب ألا يغير الإنسان اليد المستخدمة فى الكتابة إذا كان هو بطبيعته يستخدم اليد اليسرى فقليل من الأفكار قد تجعل الحياة له أسهل لذلك يستفيد الأعسر من الآتى:

- كرسى مرتفع قليلا.
- قلم رصاص ناعم لا يترك ثقوبا على الورقة ومع الوقت يستخدم قلما حديثا لا يلطخ الورقة.
- عدم مسك القلم قريبا من السن.
- مسافة على الطاولة لوضع الورقة فى الجهة اليسرى فى مكان يريح اليد والعين.

كتاب: النجاح والتميز فى ظل العولمة

للدكتور: محمد أبو الخير

نحن نعيش حلقة جديدة فى مسيرة التطور الإنسانى فى مطلع الألفية الثالثة، ومن ثم لابد من إنسان جديد يتسم بخصائص مميزة تتجه نحو التنوع، والتميز، والعالمية.. إنسان ناضج يستطيع أن يدرك الواقع فى ضوء الماضى، ويستفيد من الحاضر فى وضع رؤية للمستقبل.

إذن ما هى خصائص وصفات هذا الإنسان الناضج الذى نحتاج إليه فى هذا الزمن بالذات؟!

هذا ما يجيب عنه الدكتور محمد أبو الخير فى كتابه: «النجاح والتميز فى ظل العولمة» وهذا الكتاب يهم الشباب أكثر من أى مرحلة عمرية أخرى؛ حتى يعرفوا ظروف العالم والمناخ المطلوب للنجاح والتفوق فى زمن العولمة.

إن الإنسان الناضج هو الذى يدرك أن العلم والمعرفة من خلال القراءة والبحث وتنوع المعلومات وتنوع مصادرها، عنصر جوهرى فى المنهج العلمى لإنجاز المشروعات الناجحة. إن المعرفة هى نافذة النور، هى المفتاح الحقيقى للفهم لما حولنا، وهى أيضا التى تدفعنا إلى رؤية

المستقبل. القراءة شعاع من نور نحو معرفة أنفسنا، ومعرفة الآخرين، ومعرفة الكون الذى نحيا فيه، ونحن الآن فى مجتمع المعلومات، فى عصر المعرفة، عصر الموجة الثالثة تتنوع فيه أساليب القراءة وتتسع لمجالات متعددة، فهناك الكمبيوتر والإنترنت وما بهما من ثورة معرفية حتى أصبحت القراءة الإلكترونية سريعة الانتشار، هذا بالإضافة إلى التليفزيون والكتاب بالطبع، وقراءة الطبيعة فى منظر البحر مع شروق الشمس، وقراءة اللوحة التشكيلية البصرية، والقراءة تحت الميكروسكوب ومشاهدة حياة الكائنات الدقيقة، وهناك على العكس قراءة عبر التلسكوبات العملاقة لصفحة السماء المرصعة بالنجوم والكواكب.. إن القراءة وحب المعرفة هى السمة الأولى والمهمة للإنسان الناضج اليوم؛ فهو يدرك أن الوقت قيمة كبرى فى مسيرة الحياة، وأن الزمن محايد، أى إننا نشكل الزمن بعقولنا وأفعالنا، والواقع أن عالمنا هو ما نعمله، وهو يعتمد على ثروة عقلنا وحيويته، فنحن نرى ما نملك القوة لرؤيته، ومن هنا فالعالمُ واحد، والزمنُ واحدٌ، ونحن من نعملُ. ومن يدرك أن لوقت هو الحياة فاز بقيمة التقدم، وتقدير قيمة الوقت سمة الإنسان الناضج.

السمة الثالثة للإنسان الناضج الذى يمكن أن يحقق نجاحا فى عصر العولمة هى التفكير المبتكر. فالإنسان الناضج يستخدم مفهوم مهارات التفكير المبتكر؛ فى قيمتها، حيث يستخدم قدراته العقلية فى معالجة الموضوع المراد بحثه بكل البيانات والمعلومات المتاحة لتحقيق الهدف

من تذكر المعلومات، ووصف الأشياء وتصنيفها وحل المشكلات والوصول إلى استنتاجات منطقية للموضوع فى خريطة ذهنية متكاملة. إن التفكير المتجدد المبتكر يعنى طرقا جديدة لرؤية الأشياء، فهو يعمل بمرونة، ويتحرك فى اتجاهات متعددة غير جامدة.

نأتى للسمة الرابعة التى يتميز بها الإنسان الناجح فى عصر العولمة، كما يذكرها الدكتور محمد أبو الخير فى كتابه [النجاح والتميز فى ظل العولمة] ألا وهى الجسم السليم؛ إذ إن لياقة الإنسان الناضج هى مقدرته على العمل بمهارة، لامتلاكه أعلى قدر ممكن من الصحة نتيجة التوافق البدنى والقوة الحيوية لأعضاء جسمه، بالإضافة إلى الاتزان الانفعالى، والوعى الاجتماعى، والقدرة على التكيف، وأيضا القدرة على اتخاذ القرارات فى المواقف المختلفة. إن الرياضة تجعلنا نشعر بالمتعة والسرور والسعادة عند ممارستها، وهذا كله يساعد على معرفة اتجاهات وقيم ومهارات وصفات معنوية تؤهل للحياة بانسجام فى المجتمع.

أما السمة الخامسة للإنسان الناضج فى عصر العولمة فهى ثقافة المبادرة.

يؤمن الإنسان الناضج أن المبادرة؛ طريق النجاح، وأن المبادرة تجعل الأحلام حقيقة، لأن الانتظار آفة كبرى فى تبديد الوقت.. الانتظار يأتى بمزيد من الكسل والخمول.. الانتظار هدرٌ للأفكار المبتكرة.. الانتظار ضياعٌ للمشروعات الكبرى التى يمكن أن تغير من مسيرة حياتك، وحياة المحيطين بك. يدرك الإنسان الناضج أنه يجب عدم الانتظار، فالانتظار

لا يفيد ولن يحقق شيئا. الانتظار سكون.. الانتظار حياة مميتة، علينا أن نكون من أصحاب المبادرات، علينا أن نخلق الفرصة، علينا أن نضع مسارا خاصا لحياتنا بالعمل الجاد، والعمل الجاد هنا ليس كلمة تقال، وإنما فعل يمارس على أرض الواقع. ويذكر المؤلف بيتين لأمير الشعراء أحمد شوقى يؤيد فيهما ثقافة المبادرة هما:

وما نيلُ المطالب بالتمني ولكن تُؤخذُ الدُنيا غِلابَا
وما استعصى على قومٍ مَنال إذا الإقدامُ كانَ لهم رِكابا

السمة السادسة للإنسان الناضج فى عصر العولمة هى التفاؤل والإرادة؛ فإن الإنسان الناضج يحمل قيمة التفاؤل معه أينما حلّ وفى كل وقت. إنه يعملُ فى الحاضر بقوة لبنائه، ويبعد عن التفكير فى الماضى الذى لا يمكن تعديله، ويبعد عن القلق من المستقبل الذى لم يأت بعد، فهو يعيش فى الزمن المضارع، ويفهمُ قوة اللحظة الحاضرة، يفهمها بكل التفاؤل، ويعمل بكل الجدية والإرادة لكى يؤدى دوره فى مسيرة الحياة، والإنسان الناضج يؤمن بقول العالم ألبرت أينشتاين: «يبدأ الإنسان الحياة، عندما يستطيع الحياة خارج نفسه».

السمة السابعة التى يتمتع بها الإنسان الناضج فى عصر العولمة، والتى تدفعه إلى التميز والنجاح هى احترام الآخر يدرك الإنسان الناضج أن الحياة كثيرة الرؤى، وأنها لا تبدأ وتنتهى داخل الذات، وإنما هى تواصل مع الآخر والخروج من الذاتية المحدودة إلى رحابة عالم «نحن»

أى المشاركة مع الآخر، والتفاعل مع الآخر، والتعاون مع الآخر من أجل تطوير منظومة المجتمع والحياة.

السمة الثامنة التى يعرضها الكتاب للإنسان الناضج فى عصر العولمة هى فهم الحرية، فهو يدرك أن الحرية دفاع عن مبدأ.. عن قيمة، الحرية ليست تحطيم القوانين والشرعية.. الحرية ليست التمرد على الواقع، حتى يفقد الواقع ما لديه من إنجازات، بل هى المحافظة على ما لدينا لتطويره ونمائه. أن تكون حُرا هو أن تكون لديك القدرة على الاختيار وعلى الابتكار والاكتشاف.. أن تكون حُرا معناه أن تكون لديك حقوق وعليك واجبات. يفهم الإنسان الناضج أن الحرية التزام، ونظام واحترام لكل ما نتعامل معه.

أما السمة الأخيرة للإنسان الناضج فى عصر العولمة والتى تمكنه من أن ينجح ويتميز فهى قيمة الحب كطاقة تغيير فالإنسان الناضج يرى أن طاقة الحب ليست رؤية تقليدية تنبعث من الماضى البعيد، وليست فعلا مستغربا فى عالم اليوم – على الرغم من ما به من تقلبات ونزاعات وحروب – وإنما هى طاقة باقية بقاء الإنسان على الأرض، طاقة نماء، وطاقة عطاء تفوق الخيال. يدرك الإنسان الناضج أن الحب هو هذا الكائن الروحانى الكامن فى داخلنا، هو الطاقة الروحانية التى تحرك الأشياء فينا، وتغير العادات، وتبدل السلوكيات نحو الأرقى. إن الإنسان الناضج يؤمنُ أن طاقة الحب طاقة تنويرية مشعة على الكون بأسره.

كتاب: كيمياء السعادة

تأليف: حسين أحمد أمين

على الرغم من كثرة مشاكل الحياة، فإن الإنسان يجب أن يكون متفائلا دائما، حتى إذا كثرت هذه المشاكل وتشابكت، توقع دائما الخير، وتأكد إن ما يختاره لك الله هو الأفضل.

قرأت هذه الحكاية فى كتاب «كيمياء السعادة» تأليف الأستاذ حسين أحمد أمين وشعرت أن من الأنانية أن أحتفظ بها لنفسى ولا أحكيها لكم.. يقول المؤلف كنت وقتها أعمل وزيرا مفوضا فى العاصمة الألمانية، سعيدا بعملى، بمسكنى، بسعادة زوجتى فى حياتنا الجديدة، وسعادة بناتى الثلاث بمدرستهن، سعيدا بمحاولتى الجادة إضافة لغة جديدة إلى ما تعلمته من لغات أجنبية، وبما أتيح لى فى مسقط رأس بيتهوفن، من فرصة تعزيز ثقافتى الموسيقية.

وفى خضّم هذا الهناء وراحة البال، نُقل السفير المصرى إلى موقع آخر، وحل مكانه سفير سرعان ما اصطدمت به، فما كان منه إلا أن كتب إلى وزارة الخارجية يطلب نقلى إلى القاهرة «لعدم استطاعته التعاون معى».

أصبت وأصيب أفراد أسرتى بالصدمة والذهول من جراء قرار النقل، برغم أن الوزارة تكرمت بتأجيل موعد تنفيذه لمدة ثمانية أشهر، حتى

أتمكن خلالها من بيع ما اشتريته من سيارة وأثاث، وتسديد ديونى، وحتى ينتهى العام الدراسى فى مدرسة بناتى، ومع ذلك فقد عشت خلال تلك الأشهر الثمانية فى كرب دائم، بسبب ما انتاب امرأتى من اكتئاب، وثورة البنات إذ يجدن أنفسهن يتنقلن دون إرادة منهن من بلد إلى بلد، ومن مدرسة إلى مدرسة، فتضطرب دراستهن، وتنقطع صداقتهن، ثم اضطرارى إلى قضاء المدة فى حال من القطيعة مع السفير، وتأثر علاقاتى بغالبية زملائى نتيجة ميلهم أو اضطرارهم إلى مواضاة رئيسهم، بجانب قلقى من أن يتأثر مستقبلى فى السلك الدبلوماسى من جراء ذلك الشجار، ومن ألا أوفق فى تسديد ديونى قبل انتهاء مدة العمل بالسفارة وحاولت عدة مرات أن أقنع الوزارة بإلغاء قرار النقل.

وكنت أجدنى أثناء تمشيتى اليومية أردد بصوت مسموع قولة المسيح فى محنته: «رب جنبنى شرب هذه الكأس»..

غير أن محاولاتى لم تصادف نجاحا، ومرت الشهور سراعا حتى حل يوم الرحيل، ولم يكن فى وداعنا يومها غير الأصدقاء الأجانب من الألمان والسلك الدبلوماسى، دون أى موظف بالسفارة.

فى صباح اليوم التالى لوصولنا إلى القاهرة، اتصل بى تليفونيا مدير دار الشروق للنشر، يخبرنى أن أول كتاب لى، وهو «دليل المسلم الحزين» - وكنت قد أعطيته مخطوطته عند التقائى به فى فرانكفورت - قد صدر، فما مضت عدة أسابيع على صدوره حتى فاز بجائزة أحسن كتاب فى معرض القاهرة الدولى للكتاب، وهى جائزة سلمها لى وزير

الثقافة أيامها عبد الحميد رضوان فى احتفال مهيب، ونشرت الصحف الرسمية المصرية خبر الجائزة، فإذا بالأستاذ مكرم محمد أحمد رئيس مجلس إدارة دار الهلال يتصل بى ليطلب منى أن أوافى مجلة المصور بمقالات أسبوعية حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، التى أثارت ضجة وجدلا كبيرين فى مصر وخارجها، وسرعان ما وجدت نفسى بعدهما كاتبا مشهورا، وإذا بالعروض تنهال علىّ من الصحف والمجلات ودور النشر فى العالم العربى بطلب موافاتها بكتاباتى.

كان ذلك العام والسنوات التالية له أسعد سنى حياتى وأهمها على الإطلاق، وإذا خطرت فى ذهنى فى يوم من أيامها ذكرى نقلى من السفارة المصرية فى بون إلى القاهرة، سألت نفسى عما عساه كان سيحدث لو أنه لم يدب خلاف بينى وبين السفير دعاه إلى طلب نقلى..

ومن يومها عاهدت نفسى عهدا لا أزال إلى يومى هذا ملتزما به: هو ألا أسمح للحزن أن ينتابنى من جراء حادث يقع لى، أو خبر أسمعه، وأن أرى الخيرة دائما فيما اختاره الله، حيث إن الغالب أن تكون الاستجابة لدعاء المرء فى غير صالحه، وأن أرسخ فى أعماقى الاعتقاد بأن مسار حياة المرء تتحكم فيه قوى حفيّة هى وحدها التى تدرك الغرض البعيد من كل ما يحدث له، دون أن تعبأ بفرحه أو ترحه. وتذكرت قولة لتولستوى سجلها فى يومياته:

«ما من أمر وقع لى، وتشاجرت بسببه مع القدر، إلا ثبت بعد سنوات قلائل أنه كان فى صالحى»..

وهكذا، وبعد أن كنت أردد فى بون صيحة المسيح: «رب جنبنى

شرب هذه الكأس» صرت أردد فى القاهرة وغيرها صيحته التالية، ومازلت أرددها:

«بل مشيئتك يارب، لا مشيئتى».

هكذا يكتب لنا الأستاذ حسين أحمد أمين فى كتابه:

«كيمياء السعادة» هذه الحكاية الواقعية التى تثبت لنا أن ما يختاره الله لنا أفضل بكثير مما نختار نحن لأنفسنا، وأننا يجب أن نكون متفائلين دائما..

وكما يقول الشاعر إيليا أبو ماضى فى قصيدته الرائعة: «فلسفة الحياة»:

أيهذا الشاكى ومابك داء ... كيف تغدو اذا غدوت عليلا؟
إن شر الجناة فى الأرض نفس ... تتوقى قبل الرحيل، رحيلا
وترى الشوك فى الورود وتعمى ... أن ترى فوقها الندى إكليلا
هو عبء على الحياة ثقيل ... من يظن الحياة عبئا ثقيلا
والذى نفسه بغير جمال ... لا يرى فى الوجود شيئا جميلا

■■■

كتاب: كيمياء الحب والمرح والمناعة

للدكتور: عبد الهادى مصباح

هناك فوائد كثيرة ينبغى أن ندركها للضحك، فقد انتهت دراسة فى جامعة شيكاغو إلى أن الضحك والمرح يمكن أن يزيد عمر الإنسان ثمانى سنوات عن الإنسان العبوس والمكتئب، ويقول الدكتور عبد الهادى مصباح فى كتابه «كيمياء الحب والمرح والمناعة» أن الدراسات التى أجريت فى جامعة ستانفورد الأمريكية أثبتت أن ضحكة واحدة من القلب تعادل الفائدة التى تنالها أجهزة جسمك المختلفة من ممارسة ١٠ دقائق على ماكينة الجرى.. ولعلنا ندهش إذا علمنا أن الطفل الطبيعى فى مرحلة ما قبل المدرسة يضحك حوالى ٤٠٠ مرة يوميا، وينخفض هذا الرقم ليصل إلى ١٥ مرة يوميا ما بين ضحكة وابتسامة عندما يصل إلى سن ٣٥ سنة فى الإنسان الطبيعى.

الضحك ينشط إفراز «الإندورفينات Endorphins» أو الأفيونات الطبيعية التى تعد بمثابة مطمئنات تحافظ على المزاج والسلوك الطبيعى، وأيضا تقوى جهاز المناعة، بالقدر نفسه الذى يفرزه جسم الإنسان بعد ممارسة الرياضة بصفة منتظمة، ومع كل ضحكة من القلب يتم حرق ٣,٥ سعر حرارى، مما يجعل الضحك وسيلة مهمة للمحافظة

على رشاقة الجسم، بشرط عدم تناول أطعمة غير صحية مع الضحك، كما أن الضحك يزيد من كمية الأكسجين التى تدخل إلى الجسم مما يساعد على تجديد الخلايا التالفة، وتقوية المناعة، وتقليل الإحساس بالألم، وتخفيف التوتر.

ويبدو أن أجدادنا منذ قديم الأزل قد توصلوا إلى هذا المفهوم وهذا الحقيقة عن الضحك، والذى يربط التوتر والانفعال والعصبية والاكتئاب من جهة، وبين المرض الجسمانى وضعف المناعة الذى يظهر على شكل أعراض مرضية حسية من جهة أخرى، فكانوا دائما يقولون جملة شهيرة توارثناها على مرّ العصور: «ده ماعندوش غير شوية فكر شاغلينه» إلا إنهم بالطبع لم يصلوا إلى معرفة كيف يترجم هذا الفكر ويتحول إلى أعراض مرضية تؤثر فى كل أعضاء الجسم، والحقيقة التى توصل إليها العلماء من خلال أحدث الأبحاث العلمية تؤكد أن هناك اتصالا مباشرا بين المخ والجهاز العصبى المركزى وجهاز المناعة الذى يعمل بأمر القيادة العليا الموجودة فى المخ، وذلك من خلال مستقبلات، وهرمونات ومواد كيماوية، وموصلات عصبية ومناعية، وأن كل ما يؤثر بالسلب فى الجهاز العصبى المركزى والحالة النفسية للإنسان، يؤثر أيضا بالسلب فى جهاز المناعة لديه، ويسبب الأنواع المختلفة من الأمراض بدءا من تكرار حدوث العدوى بالأنفلونزا، وحتى الإصابة بالأورام السرطانية وعدم الشفاء منها. فلم تعد هناك خطوط فاصلة بين أجهزة الجسم المختلفة.

ونحن جميعا نردد دائما المقولة الشهيرة: «العقل السليم فى الجسم السليم»، ولو أنصفنا لأضفنا إلى هذه العبارة شطرا آخر يقول:

«الجسم السليم من العقل السليم»، وهناك الكثير من المؤثرات التى تواجهنا كل يوم فى حياتنا، والتى تسبب توترنا وانفعالنا، وربما اكتئابنا وحزننا، مما يؤثر بالسلب فى جهازنا المناعى، مثل التوتر فى العمل، والزحام، والضوضاء، وضيق ذات اليد، والانشغال بالمستقبل، والخلافات الزوجية، والعزلة أو الوحدة، وجحود الأبناء، وما يحدث حولنا من ظلم وقهر لا نستطيع أن نمنعه أو نتدخل فيه، وكثير من هذه المؤثرات لا يستطيع الإنسان أن يمنع حدوثها، إلا إنه ينبغى أن يتعلم كيف يواجهها ويتعامل معها بأقل قدر من الأضرار من خلال ما يسمى فى العلم بالتكيف الناضج مع الانفعال.

نعم لابد أن يكون للمطمئنات لدى هؤلاء الناس اليد العليا فى صحة أجسامهم، بدلا من هرمونات الانفعالات المدمرة التى تؤثر فى المناعة، وعلى كل أعضاء الجسم، وإلى جانب الإيمان الذى يعد خط الدفاع الأول للحفاظ على الجهاز العصبى والمناعى، وبالتالى صحة وسلامة العقل والجسد، هناك الكثير من الأبحاث التى حاولت إيجاد وسيلة للتعامل مع مثل هذه الانفعالات التى تفرض على الإنسان فرضا فى بعض الأحيان، والضحك والفرفشة من ضمن ما يعتبر تطعيما ضد الانفعالات والتوتر وما تحدثه من تأثير سلبى ومدمر فى جهاز المناعة وفى الجسم بصفة عامة، حتى إن هناك الآن نوعا من العلاج يسمى [العلاج

بالمرح Humour Therapy]، فقد أثبتت أحدث الأبحاث العلمية أن الضحك والمرح يقلل من إفراز هرمونات الكرتيزول والأدرينالين وغيرهما من هرمونات الانفعالات الهدامة، والتى لها تأثير سلبى فى جهاز المناعة، وفى الوقت نفسه ينشط إفراز الخلايا الليمفاوية التائية المساعدة، التى تعتبر مايسترو الجهاز المناعى، والتى يهاجمها فيروس الإيدز ويقضى عليها فى حالة العدوى به.

كما أن الضحك ينشط نوعا من الخلايا المهمة فى جهاز المناعة تسمى الخلايا القاتلة الطبيعية، وهى الخلايا المسئولة عن التصدى للفيروسات والخلايا السرطانية التى تنقسم انقساما عشوائيا غير طبيعى وتقضى عليها فى مهدها، وبالتالى فهو فى غاية الأهمية للتصدى للأورام السرطانية والقضاء عليها وعلاجها، وقد خرج هذا البحث من أكثر من جامعة منها جامعة هارفارد الأمريكية وجامعة لومالياندا وغيرهما، ولأن اللعاب والأغشية المخاطية فى الفم والأنف، يعدان خط الدفاع الأول الذى يخترقه أى ميكروب قبل دخوله إلى الجهاز التنفسى، فقد أجريت عدة تجارب فى كلية الطب بجامعة أوهايو الأمريكية، لمعرفة تأثير الانفعالات والتوتر فى الأجسام المضادة الموجودة فى اللعاب والأغشية المخاطية، فى مقابل تأثير الضحك والمرح فى هذه القذائف المدفعية، التى تقف على بوابة الجسم والجهاز التنفسى والهضمى، وقد تبين أن الضحك والفرفشة بعد مشاهدة شرائط من الأفلام والمسرحيات الكوميدية، قد دفع من مستوى هذه الأجسام المضادة بصورة واضحة من

خلال التحاليل التى أجريت لهم.

وفى نهاية فصل الضحك يقول الدكتور عبد الهادى مصباح: إن الأمريكان يستهلكون يوميا ما يقرب من ١٥ طُنا من الإسبرين بسبب التوتر والانفعال الذى يسبب لهم الصداع والآلام المختلفة، لذا قررت ٥٠٠ شركة من كبرى الشركات الأمريكية أن تتبنى برنامجا للمرح والضحك داخل أماكن العمل وفى أوقات الراحة والإجازات.

■■■

كتاب: انتصار السعادة

للفيلسوف: برتراند راسل

السعادة

هى أمل الإنسان فى كل مكان ومنذ بداية الزمان، والسعادة شىء نسبى، البعض يعتبرها فى المال والغنى، والبعض الآخر يعتبرها فى الصحة والقوة، والبعض الثالث يعتقد أنها تأتى مع المركز والسلطة، وآخرون يشعرون بالسعادة فى العبادة والروحانيات، وهذه تجربة شخصية للفيلسوف والعالم الإنجليزى المعروف: «برتراند راسل» مع السعادة يقدمها لنا فى كتابه the conguest of Happines أى انتصار السعادة..

يقدم لنا «راسل» خبرة سبعين سنة فى كتابه عن حياته وكيف يمكن للإنسان أن يكون سعيدا؟ ويلخص هذه الخبرة فى سبع نصائح أو عوامل هى:

أولا: لاتدع هذه النار تأكلك:

أما هذه النار فهى نار الحسد والحقد، فأنت تؤمن بنجاحك فى العمل ولكنك تسمع عن زميل آخر، تعتقد أنه أقل منك خبرة ونجاحا، ومع ذلك يتقاضى راتبا ضعف ما تتقاضاه أنت، هنا تشعر أن مرتبك لا يكفى، مع أنه كان يكفى فعلا!

ولكنك تتساءل لماذا يتقاضى زميلى راتبا أكثر منى مع أن عملنا واحد؟ وربما كنت أفضل منه، هذا التفكير نتيجة للحسد والحقد الذى يأكلك ويصيبك بالأمراض، والحل فى أن تقاوم هذا الشعور وتعرف أن السعادة فى القناعة والرضا.

ثانيا: لا تتوقع تنازل ابنتك عن الزواج:

تخيل شخصا متعدا ولديه ابنة، من الطبيعى أن يتوقع منها الاهتمام والرعاية له فى شيخوخته، ولكن هل معنى ذلك أن ترفض الزواج وتضحى بحياتها من أجله؟ بالطبع لن يحدث هذا إلا فى حالات نادرة، من هنا يجب أن تعرف أن كل الناس مشغولة بنفسها، حتى ابنتك، فلا تطلب من الآخرين الكثير مهما كانوا قريبين منك حتى لا تصدم فى النهاية.

ثالثا: لا تنس حكمة الكلب:

من المعروف أنه كلما شعر الكلب بأن الناس من حوله يشعرون بذعر أو خوف منه، كلما اشتد نباحه، وزاد خطره واستعداده للعقر، أما إذا تجاهله الناس فسيكون مطمئنا هادئا أقل خطرا.

وهذا المعنى يندرج على الإنسان أيضا، فإذا أحس الناس أنك شديد الخوف منهم ومن انطباعاتهم عنك، فإنهم لا يتركونك فى حالك وإنما سيخافون منك ويطلقون الشائعات عليك، أما إذا أظهرت لهم عدم الاهتمام واللامبالاة فالأغلب أن يتركوك وشأنك، وإذا جاءت سيرتك على لسانهم فستكون بالخير والكلمات الطيبة.

رابعا: لا تسجن روحك وراء هذه القضبان:

كل إنسان لديه بعض المواهب والاستعدادات، وأنت كذلك، أيضا، وربما تكون مواهبك أكثر من الآخرين، ولكن ليس معنى ذلك أن تبالغ في مزاياك ومواهبك وتعتبر نفسك أفضل من الجميع وتصاب بعقدة العظمة أو الاضطهاد وتسجن روحك وراء هذا الشعور المريض الذى يتحول إلى قضبان يفصل ما بينك وبين الناس، ويقلص فرصة نجاحك..

فإذا أصابك الفشل والإخفاق ابحث عن الأسباب الحقيقية وراء ذلك، ولا تتوقع أن العالم كله يملك من الوقت ما يتيح له فرصة التآمر على مستقبلك وتقليل فرصة نجاحك.

خامسا: لا تستسلم لجنون منتصف الليل:

خلق الله الليل للراحة والنوم وتجديد طاقة الإنسان، ولذلك يجب أن تمتنع فيه عن التفكير فى الموضوعات المقلقة الصعبة، وبخاصة أنك لا تستطيع عمل أى شيء حيالها فى الليل، وبدلا من أن تستغل ساعات الليل فى الراحة وتجديد الطاقة فإنك تبددها وتبعد عن الراحة، وبدلا من أن تعد طاقة جديدة تواجه بها هموم الغد تفكر فى موضوعات ومشاكل نصف مجنونة تدفع إليك بالقلق والأرق الذى يستمر معك حتى الصباح بل وطوال اليوم، مما ينغص عليك حياتك ويفسد مزاجك ويضعف تقديرك للأمور.

سادسا: لا تنهزم أمام ضوضاء الغرباء:

من الطبيعى أن تتواجد خلال اليوم أكثر من مرة مع بعض الغرباء سواء فى المواصلات العامة، أو فى العمل، أو فى الحفلات وغير ذلك، فلا تجعل هذا اللقاء أو التجمع أحد الأسباب غير المباشرة للإعياء العصبى والقلق، وتستطيع أن تجعل من هذا التجمع مع الغرباء فرصة للتعرف إلى الناس، وطباعهم المختلفة، وتزيد معلوماتك عن الإنسان، بل وتصادق بعضهم. فالناس والغرباء ليسوا ضدك أو أعدائك حتى تتجنبهم وتخاف منهم، بل يمكن أن يكون العكس تماما، فالناس مع الناس رحمة وسعادة.

سابعا: لا تغلق هذه النافذة:

لا تدع الروتين يفقدك الإحساس بطعم الأشياء، وبقدرتك على الاستمتاع بأقل التفاصيل فى حياتك اليومية. إن الجلوس مع أفراد العائلة لتناول الشاى كل صباح ومساء، وتناول طعام الغداء الجماعى، أو الجلوس لمشاهدة التليفزيون بعد العشاء، أو حتى الخروج مع أفراد الأسرة للتنزه، يعطى للإنسان شعورا جميلا بالاستمتاع بالوقت، وما الوقت إلا نسيج حياتنا.

كذلك فإن الجلوس مع الزملاء والأصدقاء له أهميته، هذا غير الذهاب إلى حفلات العرس وأعياد الميلاد وغيرها، هذه نافذة جميلة لحياتنا نطل منها على الأقارب والأحباء نطمئن عليهم ونبادلهم

السعادة والحب، ونشعر بسعادة وفرحة لا حد لها، وهذا يؤثر فى شخصية كل منا، لتصبح شخصية سوية خالية من العيوب.

هكذا يقدم لنا الفيلسوف البريطانى «برتراند راسل» فلسفة حياته، فعلى الرغم من أنه سئم الدنيا فى طفولته، وحاول الانتحار فى شبابه، فإنه عاش سعيدا جدا وهو فى السبعين من عمره، وأراد أن يقدم لنا أسباب سعادته فى كتابه «انتصار السعادة» حتى تستفيد منها كل الأجيال.

إنه العالم والفيلسوف الذى عارك الحياة وعاركته وانتصر عليها فى النهاية وحقق سعادته من هنا تأتى أهمية قراءة هذا الكتاب وبخاصة بالنسبة للشباب.وانتصار السعادة أو الانتصار على الحياة يدفعنا لقراءة بعض أبيات قصيدة «فلسفة الحياة» لأمير شعراء بلاد المهجر «إيليا أبو ماضى» الشاعر الفيلسوف صاحب قصيدة الطلاسم الرائعة التى تغنى بها موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب، وأيضا العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ.

يقول شاعرنا إيليا أبو ماضى فى رائعته فلسفة الحياة:

أبهذا الشاكى وما بك داء ... كيف تغدو إذا غدوت عليلا؟
إن شر الجناة فى الأرض نفس ... تتوقى قبل الرحيل، رحيلا
وترى الشوك فى الورد وتعمى ... أن ترى فوقها الندى إكليلا
هو عبء على الحياة ثقيل ... من يظن الحياة عبئا ثقيلا
والذى نفسه بغير جمال ... لا يرى فى الوجود شيئا جميلا
ليس أشقى ممن يرى العيش مرا ... ويظن اللذات فيه فضولا

أحكم الناس فى الحياة أناس عللوها فأحسنوا التعليلا
فتمتع بالصبح مادمت فيه لا تخف أن يزول حتى يزولا
وإذا ما أظل رأسك هم قصر البحث فيه كيلا يطولا

هكذا يمكن لنا أن ننتصر على الحياة ونحقق السعادة بخبرة الفيلسوف العالم برتراند راسل، وأشعار الشاعر الفيلسوف إيليا أبو ماضى (١٨٨٥م - ١٩٥٧م).

■■■

كتاب: الإبداع

للدكتور: عبد الحليم محمود السيد

الإبداع

هو أمل كل إنسان فى الحياة، فمن منا لا يريد أن يكون مبدعا؟ الدكتور عبد الحليم محمود السيد يجيب عن هذا السؤال المهم فى كتابه «الإبداع» وهو ضمن سلسلة «كتابك» التى كانت تنشرها دار المعارف.. يتمثل جوهر الإبداع فى نشاط الإنسان الذى يتصف بالابتكار والتجديد، وهو يمثل النشاط الذى يقف على العكس من الاتباع والتقليد، ومعنى الإبداع فى اللغة: إحداث شىء جديد على غير مثال سابق، لهذا فإن الإنتاج الذى يتصف بالابداع تتوفر فى صياغته النهائية صفات الجدة والطرافة، وإن كانت عناصره الأولية موجودة من قبل ويمكن أن يوصف بالإبداع كل من الإنتاجات الأدبية والفنية والعلمية، وعدد كبير من ضروب النشاط فى مواقف الحياة المختلفة بشرط أن تتوفر فى هذه الإنتاجات إحدى الصفتين التاليتين أو كلتاهما:

أ – الإحداث: الذى يتمثل فى ظهور الإنتاج أو الأفكار إلى حيز الوجود الفعلى، أو أمام وعى الإنسان فى لحظة معينة من الزمان لأول مرة.

ب – التكوين أو الصنع: الذى يتمثل فى وجود مادى جديد للشىء.

ويندرج تحت معنى الإبداع كل من:

أولا: الاختراع Invention :

وهو عبارة عن إنتاج مركب من الأفكار، أوبإدماج جديد لوسائل من أجل غاية معينة، مثل اختراع «جراهام بل» للتليفون،أو اختراع «أديسون» للمصباح الكهربى.

ثانيا: الاكتشاف Discovery:

ويطلق على اكتساب معرفة جديدة بأشياء كان لها وجود من قبل سواء أكان هذا الوجود ماديا، أم كان نتيجة ترتيب فى معلومات سبق وجودها. مثل اكتشاف «كرستوفر كولومبوس» لجزر الهند الغربية، واكتشاف «فليمنج» للبنسلين.

ثالثا: الإبداع الأدبى والفنى:

إذ يذهب بعض المفكرين إلى التمييز بين المبدعين من العلماء المخترعين والمكتشفين من ناحية، وبين المبدعين من الأدباء والشعراء والفنانين من ناحية أخرى فيرون الإبداع فى الفنون والآداب يرتبط ارتباطا وثيقا بشخصية المبدع وحياته الذاتية، فمثلا إبداع رواية [عطيل] مرتبط بشخص شكسبير، لأنه برغم ازدهار فن الدراما، أو فن المسرح كتابة وتمثيلا، فى العصر الإليزابيثى، حتى إذا لم يوجد شكسبير، لم يكن ممكنا لأحد غير شكسبير برغم اعتماده على الروائيين السابقين عليه، أن يكتب عطيلا. ومع أن كل عنصر من عناصر عطيل قد تناولها شعراء آخرون، فإن إدماج شكسبير لهذه العناصر

يجعلنا إزاء عقل شكسبير بالذات. ونشعر بأهمية هذه القضية التى تتمثل فى تفرد إنتاج كل من الأدباء والشعراء والفنانين كلما قرأنا عن شكسبير أو موليير أو بيكاسو أو ابن الرومى أو أبى العلاء المعرى أو أبى تمام، ويرجع تأكيد تفرد العمل الأدبى والفنى ونسبته إلى شخص مبدعه الأديب أو الفنان غالبا إلى سببين:

الأول: الانبهار الذى يحدثه العمل الأدبى فى متلقيه.

ثانيا: تأخر الدراسات العلمية للإبداع الأدبى والفنى عن الدراسات العلمية للإبداع فى مجال العلوم.

وهذا الشعور فى تفرد العمل الأدبى أو الفنى وتفرد نسبته إلى الأديب والفنان، كان فى يوم من الأيام يعمم على الإبداع فى كل من العمل الفنى والعمل الأدبى والعمل العلمى إلا إنه انحصر فى دائرة الأدب والفن نظرا لتجمع عدد من الدلائل التى تشير بشكل حاسم إلى أن الإنتاج العلمى إنما هو نتاج لتراكم جهود عدد كبير من العلماء على مدى الأجيال من ذلك مثلا ما يذكره عالم الاجتماع «أوجبرن ogburn» من أن مساهمة ١٢ شخصا فى تطوير الآلة البخارية بين عامى ١٦٠٥م، ١٧٨٥م عندما أعطاها «وات» صورتها المتميزة، ويستخلص من هذا أنه برغم عظم شأن «وات» فإن إتمام الآلة البخارية لم يكن وقفا عليه وحده بالذات. وعلى ذلك فمن غير المعقول أن نتصور عدم حدوث ثورة صناعية إذا كان «وات» قد توفى فى طفولته لسبب ما. وتتراكم منذ وقت ليس ببعيد من خلال الدراسات العلمية لعملية الإبداع وخصائص الإبداع فى الأعمال الأدبية والفنية الدلائل على أهمية الخبرات السابقة للأدباء

والفنانين التى تساعد على تكوين «إطار» لإدراك الأعمال السابقة، وتشكيل إطار متميز للفنان أو الأديب بعد الاطلاع على الأعمال الفنية أو الأدبية السابقة، برغم أن الفنانين والأدباء ينسون عندما يتحدثون عن إلهاماتهم، أن يذكروا لنا أبحاثهم السابقة وقراءاتهم ومشاهداتهم وتأملاتهم وخبراتهم التى تتصل بإنتاجاتهم الإبداعية. وقد تتبع بعض الباحثين الغربيين مراحل تكوين الإطار التى تمثل فى النهاية فى القصيدة الرائعة «كوبلا خان» للشاعر الإنجليزى «كوليردج» كما أبرز الدكتور مصطفى سويف أهمية تكوين إطار لتنظيم إدراك الأعمال الفنية والأدبية، من خلال الاطلاع على الأعمال السابقة، وهذا الإطار يمثل السبب النوعى للإبداع.

وهكذا أمكن بفضل تقدم وسائل البحث العلمى تجاوز أهم العقبات التى حالت دون الدراسة العلمية للإنجازات الإبداعية والتى استمرت آلاف السنين، بحجة تميز الأفراد المبدعين عن باقى الأفراد، وتفرد العمل الإبداعى وارتباطه ارتباطا وثيقا بأفراد معينين، واستحالة خضوعه للدراسة العلمية.

وقد أثبت العلم أن تفكير الأشخاص المبدعين لا يختلف عن الأشخاص العاديين إلا من حيث درجة توافر خصائص الإبداع فيه..

■■■

كتاب: فلسفة الجمال

للدكتورة: أميرة مطر

الإنسان

عاشق للجمال بشتى ألوانه فهو هبة الله له، من هنا أخذ يبحث عن ماهية الجمال وطبيعته حتى توصل إلى أن يكون الجمال علما.. وفى كتابها «فلسفة الجمال» تشرح لنا الدكتورة أميرة حلمى مطر حكاية الإنسان مع الجمال فتقول اهتم قدماء الفلاسفة وعلى رأسهم أرسطو بالإنسان فى نشاطه العقلى الذى يهدف إلى معرفة حقائق الأشياء، واهتموا أيضا بالإنسان فى سلوكه ليعرفوا الخير والشر، ويحددوا المقصود بالسلوك الأخلاقى.

أما فلاسفة العصر الحديث فقد أضافوا إلى هذه الدراسات دراسة ثالثة تتناول الإنسان بوصفه صانعا ومبدعا، وبما أنه صانع ومبدع فهو يتوخى أن يضمن ما يصنعه الكمال والجمال، ومن هنا فقد نشأ ذلك العلم الفلسفى الجديد المعروف بعلم الجمال.

إن الإنسان منذ نشأته اهتم بالجمال أيضا بجانب اهتمامه بصناعة الآلات التى يتغلب بها على ما يعترض حياته من عوائق وأخطار ويوفر بها حاجاته الأساسية، وتجلى اهتمامه بالجمال فى أن يبدع رموزا يتخاطب بها وغيره من أفراد مجتمعه، من هذه الرموز اللغة والأساطير والفنون، وبهذه المخترعات استطاع أن يذلل الحياة، وأن

يجملها ويسعد بها، كذلك استطاع أن يصل إلى بناء الحضارة ويتميز عن جنس الحيوان.

فبالصناعة والفنون الجميلة بنى الإنسان حضارته، وأضفى الجمال والسعادة على حياته.

وعلم الجمال الذى يدرس الإنسان فى نشاطه المبدع لهذه الصور الجميلة يعد أصغر أبناء الفلسفة، ذلك لأنه لم يستقل عن نظريات المعرفة والخير إلا فى العصر الحديث وعلى وجه الدقة فى القرن الثامن عشر عندما أطلق الفلاسفة الألمان والأوربيون كلمة «Aisthetics استاتيقا» على علم الجمال، وأصبح علم الجمال يدرس منطق الخيال فى مقابل دراسة المنطق العقلى فى العلوم.

والإنسان بطبعه يميل إلى أن يصف ما يرضيه وما يعجبه بأنه جميل، ومن هنا يكون من الصعب أن نحدد ما الجمال أو نقدم تعريفا للجميل؟

فقد يرى البدوى فى الصحراء جمالا لا يراه ابن المدينة، وقد يرى البدائى فى الوشم وألوان الزينة جمالا لا يراه الأوربى، وما يعجب فى الصين قد لا يعجب من يعيش فى عاصمة الفرنسيين.. بل يختلف الذوق بين أبناء الحضارة الواحدة، وذلك بحسب ثقافاتهم وبيئاتهم.

ومن جهة أخرى فإن للجمال أنواعا مختلفة من أهمها ما نراه فى الطبيعة من جمال الألوان والأصوات والأشكال التى يشغف بها صاحب الحس المرهف من الناس، فكم تغنى الشعراء بجمال السماء وكواكبها وجمال البحار وشطآنها بل بجمال المحبوب فى كل أحواله، ومن هنا

فقد أصبح التعبير الجميل عن الموجودات الطبيعية من أهم مصادر الفنون الجميلة.

وقد يحدث أن يرى الفنان فيما لا يراه غيره من الناس ما يثير خياله فيتحقق بتعبيره عنه جمالا فنيا؛ فقد تكون «لوحة» تصور وجها بائسا أو تصور دمار الحروب قد تتحول إلى تحفة رائعة حين تكون قد تضمنت من الجمال الفنى مالا يتضمنه الواقع الخارجى، ولنذكر على سبيل المثال لوحة لحذاء بالى صورها الفنان الهولندى فان جوخ أو لوحة «جورنيكا» للحرب الأسبانية الأهلية لبيكاسو.. كذلك نرى أن الفن يخلق موجودات أشد جمالا وتأثيرا فى النفوس من موجودات العالم الواقعى؛ فشخصية «أناكرينا» مثلا فى رواية تولستوى تتحول إلى حقيقة أشد وضوحا من آلاف النساء المحبات اللاتى نراهن فى الواقع، وشخصية «عطيل» فى مسرحية شكسبير أكثر خلودا وتأثيرا من آلاف الرجال الذين تصيبهم الغيرة على من يحبون.. ومن هنا يرينا الفن الأشياء والحياة والإنسان أوضح وأشد تأثيرا مما نراه فى الواقع المحيط بنا. والطبيعة - شأنها شأن أى موضوع آخر - ليست جميلة ولا قبيحة، لكنها تتحول بالتعبير الفنى إلى شىء جميل يتذوقه الإنسان فى «لوحة» أو فى لحن موسيقى أو فى قصيدة شعر... وهكذا تدفعنا الأعمال الفنية إلى تذوق الجمال الطبيعى وإلى الإحساس بالحياة الإنسانية، بل إن كثيرا من الانفعالات التى تجرى بباطن نفوسنا قد لا نلتفت إليها لولا أن فجرتها فينا الأعمال الفنية بل يمكن القول إنه لو لم يتغن شعراؤنا

بالحب أو بالوطنية ما انتبهنا لحقيقة مشاعرنا بهذه الانفعالات، ولربما تجرى فى باطن شعورنا انفعالات أخرى لا نعى طبيعتها ولا نعرف حقيقتها، ولكن حين يجسدها الفن عندئذ فقط نتعرف إليها.

من هنا كان الإحساس بالحياة والكشف عن طبيعة الإنسان ثمرة إبداع عظماء الشعراء وكبار الفنانين، ومن هنا يظهر الارتباط الوثيق بين الفن والحياة، ولقد شغل الفلاسفة والنقاد بتفسير علاقه الفن بالطبيعة وتساءلوا: هل يعكس الفن الطبيعة فيكون كالمرآة بالنسبة للواقع المحسوس، كما قال أفلاطون؟! الحق إن المحاكاة الحرفية للطبيعة لا تخلق فنا، ذلك لأن الفن عالم قائم بذاته له قوانينه الخاصة، إنه عالم بديل لعالم الواقع ينشئه الفنان المبدع بعد أن يكتسب القدرة التى تعينه على إبداع هذا العالم، ولو كان الفنان مجرد ناقل أو محاك لكان الواقع أفضل، لأن الأصل دائما أفضل من الصورة والفنان المبدع لا يحاكى ولا ينقل، لكنه يملك القدرة على إضافة الجديد، وذلك لأنه يغلب عليه الميل إلى إنتاج ما هو جميل.

ويؤكد الفلاسفة المعاصرون هذا الجانب المبدع لدى الفنان إلى حد أن عرف بعضهم علم الجمال بأنه علم «إبداع الصور» ولكن الإبداع والخلق صفتان من صفات الكمال الإلهى فالله سبحانه وتعالى قد خص نفسه بهاتين الصفتين، لهذا يقولون إن الفنان والشاعر أقرب الناس إلى الله، وذلك بما قد آتاهما الله من قدرة على الخلق والإبداع.

وغاية الفن عند «أرسطو» وكما يرى المحدثون هى تحقيق التوازن

النفسى لدى الأفراد، والتكامل بين أفراد المجتمع، ومن هنا كان الفن من ضرورات الحياة البشرية.

ويرى الفيلسوف «كانط» أن الجميل موضوع يرضى الذوق بغير أن يرتبط بتحقيق فائدة عملية أو لذة حسية. إن الضرورات التى نحسها إزاء الجميل مصدرها لا يعتمد على البرهنة العقلية ولا الأدلة المقنعة، وإنما مصدرها أن ما يتم من انسجام بين ملكاتنا الذهنية والخيالية يؤدى بنا إلى الاتفاق على هذا الطابع الذى يجعل الجمال يفرض نفسه على الجميع.

وكانت كلمة «ART أرت» تعنى عند قدماء اليونان كل إنتاج سواء كان إنتاجا صناعيا غايته تحقيق فائدة أو منفعة معينة كفنون الحدادة والنجارة والسحر مثلا، أو كانت تحقق لذة جمالية مثل فنون الشعر والغناء والرقص.

يتضح لنا فى النهاية أن علم الجمال، كما تقول الدكتورة أميرة حلمى مطر فى كتابها «فلسفة الجمال» علم يتناول الكيف لا الكم والفنان بناء على هذا التعريف هو أقدر الناس على تذوق كيفيات الأشياء، وهو أقرب البشر إلى الإحساس بالمادة التى يتناولها فنه.

إن علم الجمال إنما يتناول تلك الموضوعات التى نحبها لذاتها، وليس لأنها وسائل تحقق لنا أشياء أخرى، ولما كانت أبسط الأشياء التى نحبها لذاتها هى الصوت واللون والخط والإيقاع كانت هذه هى أبجدية الفن، ومنها تتركب بعد ذلك الأعمال الفنية المختلفة، سواء كانت موسيقى أو تصويرا أو عمارة أو نحتا أو شعرا.

كتاب: البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف: سلامة موسى

أعظم

المؤسسات فى أية أمة هى لغتها، فليس فى هذه الدنيا شىء أثمن من اللغة الحسنة، لأننا نفكر وننبعث بالكلمات. وسلوكنا فى البيت و الشارع والحقل والمصنع هو، قبل كل شىء، سلوك لغوى لأن كلمات اللغة تقرر لنا الأفكار والانفعالات، وتعين لنا السلوك كما لو كانت أوامر.

والدعوة إلى لغة عصرية هى فى صميمها دعوة إلى المعيشة العصرية، من هنا اهتم المفكر الكبير سلامة موسى باللغة العربية ونادى بتطويرها وعصرانيتها حتى تستوعب كل العلوم والآداب والفنون، وهو يرى أن اللغة المثلى هى التى لا تلتبس كلماتها، ولا تسيح معانيها، ولا تتشابه عن بعد أو قرب. بل هى التى تؤدى المعانى فى فروق واضحة كالفروق بين رقمى ٥ و ٦، ثم هى اللغة الثرية الخصبة التى يحتاج إليها المتمدنون، بل هى التى تتسع أيضا لاختراع الكلمات الجديدة التى تتطلبها الحاجات النامية المتزايدة لهؤلاء المتمدنين.

كتب سلامة موسى عام ١٩٤٥م كتابه «البلاغة العصرية واللغة العربية» لشرح دعوته فى تطوير اللغة العربية، كما شملت دعوته فصولا فى كتبه الأخرى مثل: الأدب للشعب، التثقيف الذاتى، والصحافة حرفة ورسالة وغيرها.

ارتبطت اللغة بعلم الإنسان «أنثربولوجى» بحياته وجسمه، فمن «الرحم» اشتق الناس الرحمة؛ أى إن الرحمة كانت فى الأصل العلاقة القائمة بين أبناء الرحم.. وخرجت كلمة «الإخاء» من الأخوة بين أبناء العائلة.. وكذلك عرف الإنسان الروح من الريح، والنسمة من النسيم والنَفْسُ من النَفَس لأن الفارق الوحيد عنده بين الحياة والموت لم يكن أكثر من التنفس.. وكلمة أو فعل المساعدة جاء من الساعد؛ لأن المساعدة تعنى أن أحدا يستعمل ذراعه فى خدمتنا، وأعتبر الأنفة من الأنف، والشم؛ من الشمم. لأننا حين نأنف من الشىء نرتفع عنه بأنوفنا... وكلمة كف بمعنى منع مشتقة من الكف أى باطن اليد؛ لأننا نمنع الناس بأيدينا، أى بكفوف أيدينا.

ومنذ أن نولد، يتسلط المجتمع علينا بالكلمات التى نتلقنها منه، فننشأ وقد فرضت علينا مقاييس اجتماعية وأخلاقية وروحية من هذه الكلمات. فنحن نقول: التشاؤم. والسماء. والروح. والحياة. والشرف. والوطن، والشجاعة وغير ذلك. ولم يسأل أحدنا ما هذه الأشياء؟! لأن جميع الكلمات تحدث فى أنفسنا انفعالا، نظن أنه طبيعى لا يحتاج إلى التساؤل. ونظن حين نستخدم هذه الكلمات، أننا نفكر. والحقيقة إن التفكير هنا فى حدود هذه الكلمات، لا يتجاوزها. والخلاصة أننا نفكر بالكلمات. ثم إن الكلمات تكسبنا اتجاها أخلاقيا، أو تكون لنا مزاجا فنيا، أحيانا تحمل إلينا تقاليد هى رواسب الثقافة القديمة التى كثيرا ما تضرنا فى مجتمعنا العصرى. وللكلمات توجيه اجتماعى بعيد

الأثـر فى المجتمع فإن كلمة البر من أشـرف الكلمـات الموحية التى تربى الأبناء، فى حين أن كلمة «الدم» تحدث فى كل عام نحو ثلاثمائة قتيل فى الوجه القبلى - هذا سنة ١٩٤٥م - لأنها تحمل شحنة عاطفية تجعل كثيرا من الرجال يقتلون بلا روية، ومن الغايات الشـريفة لكل لغـة الاقتصاد فى التعبير فاللغة الحسـنة تتوقـى المترادفات، لأنها ثرثرة صبيانية يضيع بها الوقت.

نحن أمة متطورة، فيجب أن تكون لنا لغة متطورة، بل لغة متمدينة تتسـع للتعبير عن نحو مائة وعشرين علما وفنا لم يكن يعرفها العرب الذين ورثنا عنهم لغتنا. ويجب - فى رأى سـلامة موسـى - ألا يكون للمجتمع لغتان، إحداهمـا كلامية، أى عامية، والأخرى مكتوبة، أى فصحى. كما هو حالنا الآن فى مصر وسائر الأقطار العربية؛ إذ ينتج عن هـذا الحال أن اللغة المكتوبة تنفصل عن المجتمع، وتصبح لغة غريبة عليه. ولهذا يجب أن تكون غايتنا توحيد لغتى الكلام والكتابة، فنأخذ من العامية للكتابة أكثر ما نستطيع، ونأخذ من الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل إلى توحيدهما.

ويعبر سـلامة موسـى عن إعجابه الشـديد بكلمات عربية جميلة موحية هى: المروءة والبر والشـهامة والفتـوة والمجد، ويقول عنها إنهـا تحف لغوية يجب أن نقتنيها فـى بيوتنا، ونعتز بها ونعرضها على أبنائنـا، ونتحدث بها، فكل منها بمثابة المؤسسـة الاجتماعية التـى تبعث الخير وتعمم الشـرف أينمـا وجدت، بل يقـول إن هذه

الكلمات ليست موجودة فى اللغة الإنجليزية، أو المرادف لها. ومع ذلك هناك كلمات فى العربية ليست مقننة فى التعبير، ويضرب مثلا على ذلك، فالرجل العربى عندما يحب المرأة هذا الحب الأبدى يقول أنا أحب، وفى الوقت نفسه لا يجد كلمة أخرى يعبر بها عن حبه للملوخية إلا الكلمة نفسها : أنا أحب الملوخية، وهناك فرق بالطبع، وفى اللغة الإنجليزية تداركوا هذا الخطأ فحب المرأة هو LOVE، وحب الملوخية أو أى شىء آخر مادى هو like. ونحن نحتاج إلى هذا التقنين فى لغتنا العربية فالأمة المتطورة تحتاج إلى كلمات جديدة تحمل لها الهداية العصرية والأهداف الاجتماعية، كلمات تمتاز بالإيحاء.. كلمات يحس الفرد نشوتها. وتحقيقا لهذا الهدف قدم سلامة موسى كلمات جديدة فى اللغة العربية منها: وطنية، عائلية، رجعية، ثورة. وفى هذا يقول: ليس فى المعاجم العربية ما يشير إلى معانى هذه الكلمات العصرية، لكننا نحن وضعناها، أو ألصقنا معنى جديدا بكلمة قديمة، كما فعلنا فى كلمة «ثورة» فإن الكلمة التى كانت مألوفة فى كتب العرب هى «فتنة» وهى كلمة كريمة لا تدل على شعور الشعب الناهض. أما كلمة «ثقافة» فإنى لم أنجح فى كلمة أخرى نجاحى فى تعميمها وكلتاهما «ثقافة وتطور» تعين أسلوبا للحياة عند الشباب، وتفتح أبواب الرقى والتجديد، وتصد الرجعية والجمود. لم يكن سلامة موسى أول الداعين إلى تطوير اللغة العربية بل سبقه إلى ذلك قاسم أمين، الذى اقترح إلغاء الإعراب وإسكان أواخر الكلمات، وعبد العزيز

فهمى باشـا، الذى قترح اتخاذ الحروف اللاتينية فى كتابتنا، وأحمد أمين، وبهى الدين بركات، ولطفى السيد، وطه حسين.

وجاء سلامة موسى ليؤيد ضرورة تطوير اللغة العربية، وضرورة تعليمها لأبناء الشعب جميعا، وطالب الجميع بقراءة القرآن الكريم حتى يعرفوا أصول لغتهم، وقال إن على الأقباط المسيحيين قراءة القرآن أيضا حتى يتمكنوا من لغتهم العربية، وعندما افتتحت دار العلوم غضب سلامة موسى من منع المسيحيين من الالتحاق بها فاللغة لا دين لها، وكل من يتحدث بالعربية يجب أن يتقنها ويدرسها فى كل مكان، فهى لغة التفاهم والحياة والتعامل، ولخص الكتاب دعوته فى:

أولا: ضرورة أن نعنى أكبر العناية بتعليم أبنائنا لغتهم الوطنية، لأنها وسيلة التفكير التى تحرك ذكاءهم.

ثانيا: أن تكون البلاغة بلاغة المنطق والمعرفة، بدلا من بلاغة الانفعال والعقيدة.

ثالثا: أن يحس المشرفون على اللغة أن كل تقصير فى إيجاد الكلمات التى تؤدى إلى الفهم العلمى، إنما هو تعطيل لتطور الأمة.

رابعا: أن نذكر أنه على قدر ارتقاء اللغة، ووفرة كلماتها ودقة معانيها، يكون الانتفاع بذكاء أبناء الأمة.

خامسا: يجب أن تكون لنا غاية أخلاقية فى تعليم اللغة العربية إلى جانب الغاية الثقافية. وهى تعويد التلميذ القراءة، حتى تصبح عادة مهمة فى حياته لا يستطيع الاستغناء عنها.

كتاب: نصف قرن مع الميكروفون

للإذاعى: فهمى عمر

فى الحادى والثلاثين من شهر مايو سنة ١٩٣٤م انطلقت أصوات المذيعين الأوائل تقول: هنا القاهرة.. ليبدأ عصر من التنوير والتثقيف عمت أنواره مصر والعالم العربى، حيث أصبحت الإذاعة المصرية جامعة تبث عبر الهواء آى الذكر الحكيم والثقافة والعلوم والغناء الجميل، واللحن الشعبى، والدراما الممتعة والحوار الهادئ والبرامج التى تعيش حياة الناس، وخلال خمسة وسبعين عاما من عمر الإذاعة وعلى مدى الحقبة التالية كان وسيكون للإذاعة دورها المهم فى مسيرة الوطن نحو التقدم والازدهار.

وفى هذه المناسبة الطيبة أصدرت دار المعارف الغراء كتاب:

«نصف قرن مع الميكروفون» بقلم الإذاعى الكبير الرائد الأستاذ فهمى عمر، والكتاب ليس تأريخا للإذاعة المصرية، كما أنه ليس سيرة ذاتية للمؤلف بقدر ما هو إلقاء الضوء على هذا الحدث العظيم، وعرض لأهم الأحداث والشخصيات التى شهدتها الإذاعة المصرية بقلم واحد من أبنائها وعلم من أعلامها هو فهمى عمر.

ويكتب الشاعر الكبير والإذاعى النجم الأستاذ فاروق شوشة مقدمة الكتاب تحت عنوان: «عاشق الإذاعة فى محراب معشوقته» يقول

فيهـا: «إن الإذاعى الكبير فهمى عمر عاشـق الميكروفون، والرياضى الكبير عاشـق السـاحرة المسـتديرة (الكرة)، والنيابى المتألق عاشق خدمـة الناس والسـاهر على قضـاء مصالحهم يدخلنا مـن خلال هذا الكتـاب البديع إلـى جوانب عالمه الثرى، الذى يفوح من بين سـطور صفحاته عطر الأحباب وهو يتحدث عن أسـاتذته وزملائه وأصدقائه، وعن علاقته بالأجيال الشـابة الواعدة، بقلب يتسـع للجميع، ويحمل التقديـر والإعزاز للجميع، عازفا سـيمفونية من الحب الجميل للناس والوطن وللإذاعة المصرية، ولعشرات من الوجوه التى انعكست صورها فى مرآتـه الصافية النقية، فجـاءت وكأنها لوحة قلمية رسـمها قلم مصور متمكن يعرف العلاقة بين النور والظل، والمسـاحة التى ينبغى أن تتحـرك فيها شـخوص كل لوحة، وأهمية لوحـة دون أخرى. كل هذا بمعيار صـارم دقيق هو معيار العدل، والمصداقية والتأثير الأقوى والأعمـق، ولقد نجح فهمى عمـر فى إقامة معرض بـاذخ، تتابع فيه المشاهد والمعروضات فيما يشبه ومض البصر، فلا وقت لديه للإطناب والاسـتفاضة، لكنه يكتفـى باللمحة التى تشـير، والكلمة التى تقول فتغنى عن الكثير»..

فى الفصل الأول من الكتاب يقدم فهمى عمر نفسه إلينا، ولا ينسى أنه من صعيد مصر. فيقدم بلده قنا بكلمات حب صادقة فهى بلده التى عاش وتربى فيها. ويقارن بين قنا الأربعينيات وقنا الحديثة التى تشابه إلى حد ما أوربا، ثم يترك الطالب فهمى عمر قنا بعد حصوله على شهادة البكلوريا «الثانوية العامة الآن» إلى الإسكندرية، ويعبر

عن انبهاره بها، وبخاصة إنه جاء إليها من أقصى الصعيد ليرى عروس البحر عام ١٩٤٥م تموج بالحركة والسياحة والأجانب بل إن المرأة المصرية فى الإسكندرية تخرج سافرة الوجه وتسبح فى البحر بالمايوه البكينى بعكس المرأة فى قنا التى تخرج ملتحفة ببردتها السوداء وحتى عيونها تغطيها البردة.. نقلة حضارية كبيرة انتقلها فهمى عمر والتحق بكلية الحقوق جامعة فاروق الأول وهى جامعة الإسكندرية الآن. أحب المدينة والدراسة بها ومارس الرياضة وإليها يرجع عشقه لكرة القدم والسلة وغيرها وتشجيع النادى السكندرى.

تخرج فهمى عمر فى الجامعة سنة ١٩٤٩م، وكان يأمل فى العمل بالنيابة كأى شاب طموح، وعندما تأخر التعيين نصحه أحد أقاربه بأن يتقدم إلى المسابقة التى أعلنتها الإذاعة لقبول مذيعين ومقدمى برامج. فتقدم للمسابقة دون إرادة قوية منه، لكن القدر جعله من أوائل المقبولين ليبدأ مشوار النجاح الذى فرض عليه وتألق فيه.

من الطريف أن تقول لجنة اختبار المذيعين فى تقريرها إن صوت فهمى عمر صالح للميكروفون ومخارج الألفاظ عنده سليمة والحنجرة قوية ولكن يشوب أداءه لهجة صعيدية تمنع من خروج صوته عبر الميكروفون!

والإذاعى فهمى عمر أثبت نجاحا كبيرا فى عمله، بل أثبت أنه ليس موهوبا وحسب بل هو عبقرية فنية إذاعية، فالعبقرى فى التعريف العلمى للمصطلح هو المبدع الذى يخلق أشكالا وأنماطا جديدة فى عمله، وقد فعل فهمى عمر ذلك، فقد ابتدع مجلة الهواء وهو

برنامج إذاعى يقع فى نصف ساعة ويتضمن صفحات مختلفة من فن وأدب وسياسة وعلم تماما مثل المجلة التى تتصفحها بين يديك، ولكن مجلة الهواء تتصحفها بأذنك، وابتدع أيضا البرنامج الفكاهى «ساعة لقلبك» وهو قالب إذاعى خفيف كوميدى نجح نجاحا عظيما وكان المستمعون ينتظرون ساعة إذاعته، ولمع من خلاله نجوم الكوميديا المعروفين.. عبد المنعم مدبولى.. وفؤاد المهندس.. وخيرية أحمد وأبو لمعة والخواجة بيجو وغيرهم.

واهتم فهمى عمر أيضا بالبرامج الرياضية وتحليل المباريات حتى أصبحت هناك شبكة الشباب والرياضة.

هكذا كان فهمى عمر عبقرية إذاعية بمعنى الكلمة وكان طبيعى أن يصل إلى مقعد رئاسة الإذاعة فى يوليو سنة ١٩٨٢م بعد أن عمل مديرا عاما لإذاعة الشعب، ثم رئيسا لشبكة الإذاعات المحلية. وكان أداء فهمى عمر كرئيس للإذاعة هو الأداء والعشق نفسه الذى اتسم به طوال حياته، وفى الخامس من شهر مارس سنة ١٩٨٨م وصل إلى السنة القانونية للإحالة إلى المعاش، لكن الفنان لايحال إلى المعاش، من هنا فإن صوت فهمى عمر ما زال يشنف آذان المستمعين من خلال مختلف القنوات الإذاعية ليقدم برامجه مستغلا خبرته الكبيرة فى خدمة العمل الإذاعى.

ولا شك أن الكتاب الذى بين أيدينا الآن – نصف قرن مع الميكروفون – هو إنجاز مهم للإذاعى الرائد فهمى عمر يحدثنا فيه عن إشراقة ثورة يوليو، ومذبحة الإذاعة والتليفزيون، والرئيس السادات وعلاقته

به ودوره فى إعلان الثورة حتى قيامه بالحرب والسلام، ونادى الزمالك ونجوم الإذاعة: «المأمون أبو شوشة، وعبد الحميد الحديدى» وعن الزعيق فى حرب ١٩٦٧م والصوت الهادئ سنة ١٩٧٣م، وضرورة المصداقية فى العمل الإذاعى، وفى الخير، وعن المعاش وما بعد المعاش.

وهنا أقول إن الإذاعى الكبير الأستاذ فهمى عمر له فى قلب كل إذاعى قديم أو حديث حب كبير، فقد كان رائدا فى عمله فنانا بمعنى الكلمة محبا للجميع ومن هنا استحق أن ينال محبة الجميع.. هذه شهادة حق من زميل.

■■■

ديوان: ماشى فى نور الله

للشاعر الغنائى: نبيل الفكهانى

الشاعر نبيل الفكهانى من الشعراء الذين أثروا الأغنية بأشعارهم الجميلة فى شتى فروعها، الأغنية العاطفية والوطنية والدينية والوصفية، وقدم للإذاعة والتليفزيون أكثر من ثلاثمائة أغنية يتغنى بها الجميع، وقد غنى له مجموعة كبيرة من المطربين والمطربات منهم: «محمد قنديل، كارم محمود، هانى شاكر، على الحجار، عبد اللطيف التلبانى، محمد رشدى، الشيخ محمد الطوخى، فايزة أحمد، نجاح سلام، مها صبرى، شريفة فاضل، سوزان عطية، وغيرهم» كما لحن كلماته كبار الملحنين أمثال: «رياض السنباطى، سيد مكاوى، محمود الشريف، مدحت عاصم، عبد المنعم الحريرى، عبد العزيز محمود وغيرهم».

أصدر الشاعر نبيل الفكهانى المحامى بالنقض أيضا ديوانه الثانى تحت عنوان «ماشى فى نور الله» وهو ديوان يحوى مجموعة من الأشعار الدينية التى تتحدث عن حب الله وهو أسمى درجات الحب.

يقول نبيل الفكهانى فى مقدمة الديوان الحب الإلهى هو أسمى درجات الحب، فهو الحب المنقى المصفى المنزه وليس بعده حب وليس قبله حب، ومن يحب الله يقترب إليه بذكره وبتسبيحه وشكره،

فليس أعظم من ذكر الله ذكرا، وليس أجمل من شكره شكرا، وليس من الصبر على قضائه صبرا، فبذكر الله تطمئن القلوب وتشرح الصدور وتفرج الكروب، وتصفو النفوس وتمحى الذنوب.

الديوان يحوى ٥٨ دعاء وتسبيحا وحبا وتمجيدا وشكرا لله عز وجل، وقد اختار الشاعر نبيل الفكهانى اسم الديوان من عنوان الأغنية المعروفة «ماشى فى نور الله» التى كتبها هو ويغنيها الشيخ محمد الطوخى، تقول كلمات الأغنية:

ماشى فى نـور اللـه بدعى وأقول يـارب
ابقالى حصن وجـاه زيدنى فى حبك حب
وباركلى فى عيالـى وفى صحتـى ومالـى
وف كـل أعمـالـى أسعى لمـا تـرضـاه

ماشى فى نور الله

منك يـا رب الهـدى والمعصيـة منـى
ولا لى عنـك غنـى وأنت فى غنى عنـى
نورك لروحى دليـل والحب لـى سبيـل
ولا عمر شمسه تميـل إللى قصـد مـولاه

ماشى فى نور الله

من أغنيات الديوان الدينية أيضا أغنية «قول يا رب» يقول فيها الشاعر:

قـــول يـــــا رب بكـــل حـــب قولهـــــا مـــن قلبـــك بقلـــب
وبأمل ما يهزهوش يأس الشدايد وبإيمان فى النفس زى الشمس قايد
وبضراعة قلب خاشع له وساجد قـولهـا تهتز السما والأرض ليها

قول يا رب

إن لقيـت الدنيـــا ضلمـــة والسما من غيـــر نجـــوم
قـــــــول يـــــا رب تلقى نوره بيـــن إيديـــك
وإن لقيت مركـب حيـــاتك تايهة فى بحـــر الـــهموم
قـــــول يـــــا رب العنـــاية تراعيـــــك
تلقى ليك فى الـــشدة مخـــرج تلقـــى ضيق الحـــال بيفرج

قول يارب..

وتحت عنوان [كن فيكون] يقول نبيل الفكهانى:

بين الكـــاف وبيـــن النـــون تأمـر كـــن فالأمـــر يكـــون
يا من أبـــدعـــت الأكوانـــا يا مـــن كـــرمـــت الإنسانـــا
يـــا مـــن أنـــزلـــت القرآنـــا إن ترضى فـالكـــل يهـــون
بيـــــن الكـــــاف والنـــون تأمر كـــن فالأمـــر يكـــون
يا من قلت أدعونى أجيبكـــم فأنا اللـه قـــريـــب منكـــم
وبكم أرحـم مـــن أنفسكـــم إن تـرضـــى فالكـــل يـــون
بين الكـــاف وبيـــن النـــون تأمـر كـــن فالأمـــر يكـــون

إن ترضى فالقلب ضياء إن ترضى فالنفس صفاء
إن ترضى فالعمر هناء إن ترضى فالكل يهون

ويسبح الشاعر نبيل الفكهانى قائلا أنا أسعد إنسان:

أنا أسعد إنسان فى الدنيا أنا أسعد إنسان
علشان أصلى بصوم وبصلى وحفظت القرآن
وبطلع صدقة من مالى وبراعى بيتى وعيالى
وادعى المولى ينولها لى واطلع أحج كمان
أنا أسعد إنسان فى الدنيا أنا أسعد إنسان

ويشمل ديوان «ماشى ف نور الله» فصلا تحت عنوان: قالوا عن الشاعر نبيل الفكهانى، يشمل ما قاله عنه كبار الشعراء والكتاب.. من هذه الأقوال يقول الشاعر أحمد رامى:

إنه يجيد الكتابة بالفصحى وبالعامية بالقدرة نفسها، وقال الناقد الكبير عبد الفتاح البارودى فى أكثر من مقال فى بابه الشهير للنقد فقط بجريدة الأخبار: الشاعر نبيل الفكهانى شاعر كبير وقدير ومتمكن من أدواته، وعلى علم ودراية بفنون الشعر وبحوره وأوزانه ويجيد الكتابة الغنائية بمختلف أشكالها.

كما يشمل الديوان فصلا تحت عنوان أضواء على صاحب الديوان يقدم لنا معلومات عن الشاعر:

الشاعر نبيل الفكهانى من مواليد ٥ نوفمبر ١٩٤٠م، يعمل محاميا أمام محكمة النقض والمحكمة الإدارية العليا، وهو عضو بجمعية

المؤلفيـن والملحنين بباريس، مثل مصر فى عـدة مهرجانات عالمية للأغنية كان آخرها مهرجان باريس ١٩٩٥م للأغنية الإذاعية.. سبق أن صدر للشاعر ديوانه الأول تحت عنوان «ما أجمل الدنيا معه».

وأخيرا نقرأ هذه النفحات من الديوان تحت عنوان ربك بكره يعدلها... يقول نبيل الفكهانى:

إن كـان الحظ جفـاك والدنيـا اتغيـر حالهـا
خلى أملـك فـى اللـه ربـك بكـره يعـدلهـا
اعمل بس اللـى عليـك والباقـى سيبـه ع اللـه
اللـى تقـدمـه بإديـك ح يكافأك بيه المولـى
عمر ما أجـرك ح يضيـع دا المولى بصيـر وسميـع

■■■

كتاب: حركة القلب

للدكتور: وليم هارفى [Willam Harvey]

فى تاريخ البشرية محطات ونقلات تقدمية إلى الأمام لها أصحابها من العلماء والعباقرة. والعالم الإنجليزى وليام هارفى من العلماء الذين حققوا للإنسانية معرفة أكثر بجسم الإنسان وبحركة القلب، فهو مكتشف الدورة الدموية التى على أساسها استطاع الإنسان علاج أمراض القلب وتحقيق الشفاء من هذا المرض الصعب. وكتاب «حركة القلب» تأليف وليم هارفى يعرفنا بدوره الكبير واكتشافه الخطير فى هذا المجال.

فى بداية القرن السابع عشر ١٦٠٠م لم تعمل النهضة فى أوربا على إحياء الأدب وحسب، بل شملت إيقاظا ذهنيا أثر فى العلوم الطبيعية، كان ذلك العصر عصر جاليليو وكبلر وهارفى وباكون وديكارت.

وفى إيطاليا، أثبت «أندرياس فيساليوس» قبل ذلك بخمسين سنة، عدم وجود مسام للشرايين التى وصفها العالم جالين قبل ذلك، ولم تكن هناك أية علاقة مباشرة بين حجرتى القلب، فى الوقت نفسه أبدى سرفيتوس اعتقاده بأن الدم يدور خلال الرئتين، لكنه لم يعترف بأن القلب عضو ضاخ. وفى سنة ١٦٠٣م اكتشف فابريكيوس إن للأوردة صمامات ولو أنه لم يفهم الغرض منها، بل استنتج فقط أنها كانت لمجرد العمل على بطء سير الدم إلى الأطراف.

هكذا كان لهؤلاء وغيرهم أن يتشجعوا ويشكوا فى العقيدة القديمة فى الدم، والتى عرقلت التقدم الطبى خلال العصور الوسطى. ومن ناحية أخرى لم يستطع أحد التوصل إلى الحقيقة الكاملة، فأسهم كل واحد بقدر كبير نحو اكتشاف الدورة الدموية ووظائف الكبد، ولكنه توقف فى كل حالة بجواب جزئى أو غير كامل. أما اكتشاف وصياغة مجموعة منظمة ومبوبة من النظريات، فقدمه العقل اللامع الحاد للطبيب الإنجليزى وليم هارفى.

وصلت النهضة العلمية إلى إنجلترا متأخرة عن وصولها إلى القارة الأوربية، وبخاصة إيطاليا، ولكن فى العصر الذى ولد فيه هارفى ١٥٧٨م كانت الأمة تدخل فى فترة من أعظم الفترات؛ فإبان القرن التالى، حكمت بريطانيا الملكة إليزابيث، وتوطدت قوة بريطانيا البحرية بهزيمة أسطول الأرمادا الأسبانى، وفتح المكتشفون الإنجليز أراضى جديدة، وازدهر شكسبير ودون وسبنسر، ودرايدن وملتون وباكون وغيرهم فى عالم الأدب وبذا كبح جماح الفكر الخاص بالقرون الوسطى والسابقة، وتحررت عقول الناس داخل حدود معينة لتخلق أفكارا جديدة وتفتح آفاقا لم تفتح من قبل. لكى يدرس هارفى الطب، كان عليه أن يذهب إلى إيطاليا، وسميت جامعة بادوا الشهيرة «الأم مربية النهضة» وظلت لعدة أجيال المركز الطبى لأوربا فبعد أن تخرج هارفى الشاب فى جامعة كامبريدج قضى أربع سنوات معظمها تحت قيادة المدرس الشهير الكفء فابريكيوس مكتشف صمامات الأوردة.

فتعلم كيف يشرح ويجرى التجارب على شتى أنواع الحيوان. وربما كان الفضل لنظريات فابريكيوس فى متعته واهتماماته بالدورة الدموية التى لازمته طوال حياته.

عندما عاد هارفى إلى إنجلترا فى سنة ١٦٠٢م بدأ منهج حياة تدر له أن يستمر مدة الخمسين سنة التالية كطبيب ومحاضر وكاتب. تزوج ابنة طبيب الملكة إليزابيث الخاص. وبعد ذلك عمل كزميل فى الكلية الملكية للأطباء، وكطبيب فى مستشفى بارثولوميو، وكطبيب لجيمس الأول وشارل الأول.

على الرغم من هذا كان هارفى مولعا طوال حياته بالأبحاث الطبية والتجارب أكثر من ولعه بممارسة الطب، فبدأ فى عام ١٦١٦م يلقى المحاضرات عن الدورة الدموية أمام كلية الأطباء ولا تزال النسخة الخطية لمحاضراته موجودة، مكتوبة بخليط من اللاتينية والإنجليزية، وقد شرح بعض تجاربه فى مذكراته وأوضح إنه فى ذلك التاريخ اقتنع تماما بصحة نظرياته الشهيرة عن الدورة الدموية، فكتب يقول:

«يتحرك الدم فى دائرة مستمرة بدافع من ضربات القلب» انقضت اثنتا عشرة سنة قبل أن يستعد هارفى لنشر النتائج التى توصل إليها، ويقال فى سبب ذلك خوفه من صدمة النظرية حتى للعلماء والأطباء، لذلك احتجز نظريته الجديدة فى خزانته من ١٢ إلى ثلاثين عاما، وقال فى ذلك:

«إن نظريتى عن الدورة الدموية العامة جديدة من نوع لم يسمع به حتى إننى لا أخاف فقط إيذاء شخصى نتيجة حسد القليلين، بل أرتجف

لجعل البشر جميعا أعدائى، لأنه بوسع العادات والتقاليد القديمة أن تفعل الكثير إذا تحولت إلى طبيعة أخرى، وأن النظريات التى غرست وتملكت من عقل الجميع ذات تأثير بالغ على جميع الناس..».

وفى سنة ١٦٢٨م ظهر فى فرانكفورت بألمانيا كتيب يشمل ٧٢ صفحة اعتبره كثير من علماء الطب أهم كتاب طبى وضع حتى ذلك الوقت، وبطبيعة الحال كان ذلك الكتيب باللغة اللاتينية وهى اللغة العلمية العالمية. أما عنوان الكتاب فكان: «تمرينات تشريحية على حركة القلب والدم فى الحيوان» وليس من المعروف بالضبط سبب صدور الكتاب فى ألمانيا بالذات، ربما كان ذلك لأن سوق الكتاب السنوية التى تعقد فى فرانكفورت تضمن سرعة نشره وتداوله بين علماء القارة الأوربية، ويقال إن خط هارفى الردىء هو المسئول عن العديد من الأخطاء المطبعية.

أهدى العالم وليم هارفى نسخا من كتابه إلى زملائه من العلماء وأساتذة الجامعة وكن يشرح رأيه فى البحث العلمى قائلا:

«أقرر أنى أتعلم وأعلم التشريح ليس من الكتب وإنما من التشريح العملى، ليس من مكان الفلاسفة بل من نسيج الطبيعة..».

يضم الكتاب مقدمة وسبعة عشر بابا تعطى وصفا واضحا متصلا لعمل القلب وحركة الدم الدائرية خلال الجسم كله، وتستعرض المقدمة نظريات جالين، وفابريكيوس، وكولومب وغيرهم من قدامى الكتاب مبينا أخطاءهم فى دقة ووضوح.

ويذكـر العالـم وليم هارفى فـى كتابه الصغير والمهـم الصعوبات فيقول: «عندما وطدت العزم أولا على الاتجاه نحو تشـريح الحيوانات الحية كوسيلة لاكتشاف حركات القلب ووظائفه وحاولت اكتشافها من الفحص الفعلى، وليس مما كتبه غيرى، وجدت هذا العمل شاقا وملوثا وزاخرا بالصعاب حتى كدت أميل إلى الاعتقاد أن حركة القلب لا يمكن أن يعلمهـا إلا الله وحـده، فلم أدرك أولا متى يحـدث الانقباض ومتى يحدث التمدد، ولا متى ولا أين يحدثان؟ بسبب سرعة حركتيهما التى تتم فى كثير من الحيوانات فى لمح البصر فى سرعة البرق الخاطف...».

وأخيرا اقتنع هارفى بأنه بالإمكان دراسة حركات القلب بصعوبة أقل فى الحيوانات ذوات الدم البارد كالعلاجيم والضفادع والثعابين وصغار السمك وسرطان البحر والجمبرى والقواقع، وأقل مما فى الحيوانات ذوات الدم الدافئ، فأخذ يجرى تجاربه وأبحاثه ليل نهار حتى وصل إلى سر الدورة الدموية وحركة دورة الدم فى الجسم وهو الاكتشاف العظيم للإنسانية.

■■■

كتاب: عن الحرية

للفيلسوف جون ستيورات مل Gohn Stuart Mill

الفيلسوف

«جون ستيوارت مل» من فلاسفة الإنجليز المعروفين، عاش بين السنوات «١٨٠٦ – ١٨٧٣م»، كان يدعو للمذهب النفعي الذى أخذه من أستاذه «بنتام»،ونادى بالإصلاح الاجتماعى والنيابى. وضرورة أن تنال المرأة حقها كالرجل تماما، وعاش من أجل رسالته الكبرى وهى تحقيق حرية الفرد.

يعتبر كتابه «عن الحرية» أقوى ما كتب فى هذا المجال وأكثر إقناعا من كتب أخرى لأنه كان يؤمن إيمانا كاملا بحرية الإنسان وحقوق الأفراد. يقسم «مل» كتابه إلى خمسة فصول هى:

تمهيد لفكرة الحرية، حرية الفكر والمناقشة، الفردية كعنصر من عناصر الحياة الطيبة. حدود سلطة المجتمع على الفرد، تطبيقات وتلخيصات لمذهبه.

يقول الفيلسوف «مل» فى الفصل الأول:

لا يجوز التعرض لحرية الفرد إلا لحماية الغير منه، أو لمنعه من الإضرار بغيره، فلا يجوز إرغام الفرد على انتهاج سلوك معين بحجة حمايته من الإضرار بنفسه أو ماله، غير أنه يتحفظ من تطبيق فلسفته هذه على القصر من الأطفال والمراهقين ، كذلك يتحفظ على تطبيقها

على الشعوب المتأخرة؛ فالأصل فى الحرية ألا يجوز منحها قبل أن يصبح الشعب قادرا على أمره مدركا لصالحه يعى حرية المناقشة ويعرف معنى المساواة.

الفصل الثانى يتحدث الفيلسوف «مل» فيه عن حرية الفكر والمناقشة، فيجب على أى حكومة ألا تخرس فردا واحدا عن إبداء رأيه، فلو اجتمع الناس كلها على رأى وخالفهم فيه فرد واحد فلا يجوز إخراسه، فليس الإجماع دليلا على الصواب، وليست القلة دليلا على الخطأ. وحرمان الفرد من إبداء رأيه مضرة للناس وحرمان للإنسانية من دواعى الرقى والتقدم، فإن كان الرأى صوابا فقد حرم المجتمع من فرصة التغيير، وإن كان خطأ فقد حرم من فرصة المقارنة التى تؤكد ما هو عليه من حق.

ويضرب لنا الفيلسوف «جون ستيوارت مل» مثلا على إجماع الرأى الخاطئ، فيروى كيف أدان المجتمع الأثينى أبا الفلسفة سقراط واتهمه بإفساد عقول الشباب ودفع الحكومة إلى محاكمته وإعدامه. وهو أجدر أهل جيله بالتقدير والإكبار، ومثل آخر يذكره المؤلف وهو كيف واجه شهداء المسيحية من الإنكار والتعذيب ما يحملنا على السخط على معذبيهم واتهامهم بكل نقيصة.

يخصص المؤلف الفصل الثالث من كتابه «عن الحرية» ليحدثنا عن الفردية كعنصر من عناصر الحياة الطيبة. ولكن لا يجوز للفرد أن يجلب السوء للآخرين، ولن تستقيم الحياة ما لم تتأكد شخصية الفرد، ولكل فرد أن يختار لحياته ما يرضيه وما يراه متفقا مع خصاله. بل إن

الحرية والفردية هى التى تقدم لنا عباقرة المجتمع بما تضفيه عليهم من تفتح وانطلاق، ويعرض لقضية الدين فيقول:

إن كان الدين يعرفنا أن الله خالق الإنسان حكيم عاقل، فأحرى بنا أن نعرف حكمة ما غرسه فينا من نوازع وأهواء فنرعاها - فإنه جل شأنه - ليسر ويبتهج إذا ما رآنا نمضى فى تقوية ما غرس فى نفوسنا من قدرة على الإدراك والعمل والاستمتاع.

فى الفصل الرابع يتناول الفيلسوف «مل» فى كتابه حدود سلطة المجتمع على الفرد فيقول: إن ما يخص الفرد وحده هو من حقوقه، وما يخص المجتمع فهو حق للمجتمع، فالفرد حين يعيش فى رحاب المجتمع ويتمتع بحمايته، يرى نفسه مدينا له، ومطالبا بسلوك معين من قبل أفراده، فعليه أولا أن يتحاشى الإضرار بمصالح الغير، وعليه ثانيا أن يتحمل نصيبه من التضحية التى يتطلبها المجتمع، كحمايته من الأذى أو دفع العدوان عنه، فإن أهمل ذلك حق عليه عقاب المجتمع عن طريق القانون أو ضريق الرأى العام، وفيما عدا ذلك فللفرد حريته كاملة غير منقوصة.

يختم الفيلسوف «مل» كتابه المهم بالفصل الخامس وهو عبارة عن تطبيقات على آرائه .. ولا يرى فى القيود التى تفرض على التجارة والصناعة ما يتعارض مع الحرية الشخصية ما دامت قاصرة على ما يمس المجموع، فمراقبة الغش وفرض شروط صحية على المصانع وتحريم بيع السموم لا تعد اعتداء على حرية البائع ولا تتعارض مع

مبدأ حرية التجارة أو الحرية الشخصية، ينطبق ذلك أيضا على حق الحكومة فى فرض التعليم الإلزامى ومنح الدرجات العلمية والشهادات العامة.

هكذا ينتهى الفيلسوف الإنجليزى «جون ستيوارت مل» من بحثه فى أخطر موضوع يشغل الإنسان منذ وجد فى هذا العالم وحتى قيام الساعة موضوع الحرية التى تكافح الشعوب من أجلها، والتى استشهد فى سبيل تحقيقها ملايين البشر على مر السنين.. استطاع «مل» أن يكون موضوعيا وحاول أن يقيم نوعا من التوازن بين الفردية والجماعية، وخرج على مذهب أستاذه «بنتام» فى طبيعة منفعة المنفعة، فقد فضل أستاذه منفعة الفرد على المجتمع، بينما فضل، «مل» منفعة المجتمع على ألا تطغى على حرية الفرد.

وإذا كان فيلسوفنا «جون ستيوارت مل» جاء بجديد وتناول موضوعا خطيرا فى هذا الكتاب المرجع، فإن هذا يعود لشخصيته منذ طفولته، فقد كان المؤرخون يعتبرونه خارقا للطبيعة، فقد درس اللغة اليونانية وهو ابن الثلاث سنوات، وقرأ هيرودوت، واكسينوفون، ومحاورات أفلاطون، وأرسطو، وهو فى الثامنة من طفولته، ثم تعلم اللغة اللاتينية واتسعت دائرة قراءاته فى الحادية عشرة فقرأ شيشيرون، وفرجيل، وهيوم، وألف ليلة وليلة، وروبنسن كروزو، ودون كيشوت، كذلك قرأ فى علوم الطبيعة والاقتصاد السياسى ونظريات آدم سميث وغيرها.

وسافر الفتى «مل» إلى فرنسا وهو فى الرابعة عشرة وقضى بها عاما تعلم خلاله اللغة الفرنسية، وأعجب بأخلاق الفرنسيين وسلوكهم، واتجه إلى الكتابة وهو فى السادسة عشرة من عمره.

وفى عام ١٨٦٥م انتخب عضوا فى مجلس العموم البريطانى، وكانت فرصة كبيرة له، ثلاث سنوات يدعو ويدافع عن أفكاره وآماله فى إصلاح المجتمع وتحرير المرأة وحرية الفرد.

رحل الفيلسوف «جون ستيوارت مل» عن عالمنا ١٨٧٣م.

■■■

كتاب: كلمات لقاسم بك أمين

للدكتور: رامى عطا صديق

يعد قاسم أمين واحدا من أبرز رواد التنوير الذين شهدتهم مصر طوال القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث ساهم بفكره فى تحديد مشاكل الناس والمجتمع ووضع حلولا لها، وهو بذلك يعد مصلحا اجتماعيا ومفكرا تنويريا يجب أن يذكره الجميع، وقد سعدت بإصدار أحد كتب قاسم أمين، وكانت سعادتى أكثر لأن الذى أصدر الكتاب أحد شباب الجيل الجديد الذين نعتز بهم.

أما الكتاب فهو كتاب كلمات لقاسم بك أمين، دراسة وتعليق الدكتور: رامى عطا صديق.

وحينما يذكر اسم قاسم أمين فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو كتاباه عن المرأة، الأول تحت عنوان «تحرير المرأة» الذى صدر عام ١٨٩٩م والثانى «المرأة الجديدة» وصدر عام ١٩٠٠م وفيهما دافع قاسم أمين عن المرأة مطالبا بتحريرها وترقيتها حتى ينهض المجتمع، فقد كان قاسم أمين مؤمنا بمساواة المرأة للرجل ودورها المهم فى تطوير المجتمع وبناء الحضارة الإنسانية ومن ثم حقها فى التعليم والعمل والخروج من المنزل الذى كان سجنا لها.

يلقى الدكتور رامى عطا صديق الضوء على حياة قاسم أمين فى كتابه فيعرفنا أنه ولد فى أول ديسمبر من عام ١٨٦٣م فى الإسكندرية من

أب تركى وأم مصرية صعيدية وعندما بلغ الثامنة من عمره ألحقه أبوه بمدرسة رأس التين الابتدائية، وكانت مدرسة حكومية تطل نوافذها على الميناء والبحر، وظل يدرس بها من سنة ١٨٧١م إلى ١٨٧٥م. انتقلت الأسرة بعد ذلك من الإسكندرية إلى القاهرة ليلتحق قاسم بالمدرسة الخديوية الثانوية المعروفة، ولما أتم دراسته الثانوية التحق بمدرسة الحقوق التى نال منها درجتها فى عام ١٨٨١م وكان ترتيبه الأول على الناجحين.. بعد تخرجه عمل قاسم أمين بالمحاماة بمكتب مصطفى باشا فهمى رئيس الوزراء بعد ذلك.

فى سنة ١٨٨٢م سافر قاسم أمين إلى فرنسا لدراسة القانون بجامعة مونبليه، وظل فى فرنسا حتى عام ١٨٨٢م. كانت زيارة قاسم إلى فرنسا مهمة للغاية، فقد عاش فى عاصمة الفكر والفن باريس، وتعرف إلى الكثير من أفكار التمدن الحديث، ولمس بنفسه الحريات التى سادت المجتمع الفرنسى فى الصحافة والنشر وحركة التأليف والحياة السياسية وأعجب بمشاركة المرأة للرجل فى كثير من الأعمال.

كان من حسن حظ قاسم أمين أن تقابل فى باريس ١٨٨٤م بالمصلح الدينى المعروف وقتذاك جمال الدين الأفغانى، والشيخ الإمام الجليل محمد عبده، أحد أعمدة التنوير فى مصر، وتعلم قاسم على يديهما، واتفق مع أفكارهما التى تدعو إلى مكافحة الاستعمار الإنجليزى والتسلط الأجنبى بكل جوانبه، والدعوة إلى الجامعة الإسلامية وتحرر المسلمين من شتى القيود.

فى سنة ١٨٨٥م عاد قاسم أمين إلى مصر ليعمل فى سلك القضاء وكيلا للنيابة ثم رئيسا لها فى بنى سويف ثم مدينة طنطا. وفى سنة ١٨٩٢م عين قاسم أمين قاضيا بالمحاكم، ثم عين مستشارا بمحكمة الاستئناف بالقاهرة مع صديقه سعد زغلول بقرار واحد وظل بهذا المنصب حتى وفاته فجأة عام ١٩٠٨م.

لم يقتصر عمل قاسم أمين على القضاء فحسب وإنما أخذ يشارك فى الحياة العامة والعمل العام بالكتابة فى الصحف والمجلات عن المشاكل الاجتماعية والثقافية، وأسهم بنصيب كبير فى مشروع إنشاء الجامعة الأهلية المصرية «جامعة القاهرة الآن».

يحدثنا الدكتور رامى عطا صديق مؤلف كتاب كلمات لقاسم بك أمين عن مؤلفات قاسم أمين المختلفة وهى: كتاب «المصريون» كتبه قاسم باللغة الفرنسية ١٨٩٤م وهو الكتاب الأول فى المؤلفات، وقد وقد كتبه باللغة الفرنسية ردا على الكاتب الفرنسى الدوق «دار كور» الذى كان قد نشر كتابا عنوانه «مصر والمصريون» فى باريس هاجم فيه المصريين والإسلام والمسلمين، ورد عليه قاسم فى كتابه هذا بطريقة موضوعية.

الكتاب الثانى لقاسم أمين هو: «تحرير المرأة» وتناول تربية المرأة، الحجاب، المرأة والأمومة، العائلة والزواج والطلاق، وتعدد الزوجات.

أما الكتاب الثالث فيرتبط بالكتاب الثانى أيضا وعنوانه «المرأة الجديدة» وقد صدر مع بداية القرن العشرين عام ١٩٠٠م. فى كتابه

المرأة الجديدة رد قاسم على كل الانتقادات التى كتبها خصومه عن كتابه «تحرير المرأة» وقد تناول أيضا فيه موضوعات مختلفة مثل: المرأة فى حكم التاريخ، حرية المرأة، الواجب على المرأة لنفسها، والواجب على المرأة لعائلتها الجديدة، وغير ذلك من الموضوعات الخاصة بنظرتة للمرأة، وكانت المرأة الفرنسية المثقفة المتحررة نموذجا للمرأة التى يتمناها قاسم لمصر.

الكتاب الرابع لقاسم كان تحت عنوان: أسباب ونتائج أخلاق ومواعظ.

ونأتى للكتاب الخامس كتاب «كلمات» وهو الذى اختصه الدكتور رامى عطا صديق بالبحث والتعليق، وخصص له هذا الكتاب الذى نستعرضه معا، ويحكى لنا المؤلف قصة هذا الكتاب فيقول: بعد أن توفى قاسم أمين فى ٢١ إبريل ١٩٠٨م اهتم أحمد لطفى السيد أستاذ الجيلين والمفكر المعروف ورئيس تحرير جريدة «الجريدة» بأن تجمع مجموعة من حكم وأقوال قاسم أمين المأثورة وبعضا من مذكراته الشخصية، فكان كتاب «كلمات.. لقاسم بك أمين» والذى جاء فى ٦٠ صفحة من القطع الصغير ويتضمن عددا من آراء وأفكار مفكرنا يتناول فيها الكثير من القضايا والموضوعات الاجتماعية والأدبية، وقد صدر الكتاب فى الشهر التالى مبشرة لرحيل قاسم أمين... ومن أقواله وتأملاته:

- الحرية الحقيقية تحتمل إبداء كل رأى ونشر كل مذهب وترويج كل فكر.

- إن الذى مدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك.
- فى الأمة الضعيفة المستعبدة حرف النفى «لا» قليل الاستعمال.
- معاقبة الشر بالشر إضافة شر إلى شر.

تحية للمؤلف الدكتور رامى عطا صديق على هذا الكتاب عن مفكرنا العظيم قاسم أمين.

■■■

كتاب: من الشاطئ الآخر

كتابات طه حسين باللغة الفرنسية جمعها وترجمها وعلق عليها عبد الرشيد الصادق محمودى

التراث

الثقافى الذى تركه لنا عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين لم يكن المؤلفات العربية فحسب، وإنما هناك جزء مهم تركه باللغة الفرنسية أيضـ ربما لم يعرفه أو يهتم به الكثير من الأدباء.من هنا تأتى أهمية كتاب «من الشاطئ الآخر». تأليف الدكتور طه حسين، وهى كتاباته باللغة الفرنسية والتى جمعها الأستاذ عبد الرشيد الصادق محمودى وترجمها وعلق عليها ونشرها المركز القومى للترجمة ضمن المشروع القومى للترجمة، وصدر الكتاب فى ٢٠٠٨م.

الحقيقــة إن هذا الكتاب رائــد من حيث تأليفــه وترجمته، إذ لم يكــن واضحا فى الأذهان قبل صدوره أن لطه حســين كتابات فرنســية يعتــد بها، كانت هــذه الكتابات متفرقة بين صحــف ومجلات ناطقة باللغة الفرنســية فى مصر وفرنسا ومؤتمرات للمستشرقين، ومناسبات شتى نشأت خلال جولات طه حسين فى أوربا ممثلا لمصر فى المحافل الدولية ووســيطا بين الثقافات ومروجا للقيم الإنسانية. وهنا نكتشف جانبا جديدا من نشــاط طه حســين فــى عالم الكتابــة، ونجد ترجمة

دقيقة لكل ما تيسر العثور عليه من تلك الكتابات التى ظلت مجهولة أو مهملة إلى حد بعيد كما نجد المقدمات والحواشى الضافية التى أضافها المترجم ليروى فيها القصة الشائقة للبحث عن تلك الكتابات، ويلقى الضوء على السياقات والمناسبات التى شهدت ظهورها. يضم كتاب «من الشاطئ الآخر» كتابات طه حسين باللغة الفرنسية: خواطر عن نفسه وعن بعض أعلام العصر الذى عاش فيه مثل الشيخ محمد عبده، والفنان مختار وبدايات الأدب المسرحى فى مصر، ودراسات عن شاعر الألمان الأشهر جوته، والشرق، ونهضة الشعر فى العراق، والكتاب فى المجتمع المعاصر، ومحاضرات لطه حسين عن بعض المستشرقين الذين درسوا فى مصر، وبيانات عن مشكلات الجامعة ومصر والحرب، ومصر وفرنسا والتعاون بينهما. فى مجال الخواطر يحدثنا طه حسين عن طريقته فى الكتابة فيقول: أنا لا أكتب وإنما أملى. فإذا أمليت فى بيتى مشيت وأنا أملى. أما إذا أمليت فى الصحيفة، فإننى أجلس إلى مكتبى ساكنا بغير حراك كأننى تمثال، وإنى لأكره أن يقاطعنى أحد. ولست أحب لسكرتيرى أن يكون بطيئا عندما أملى عليه، وأفضل له أن يستخدم طريقة الاختزال.

وليس من عادتى أن أفكر فيما أريد أن أكتب قبل البدء فى الكتابة مباشرة، ولكننى عندما أملى لا أفكر فى شىء على الإطلاق سوى الموضوع الذى يعنينى. وإنى لأكره أشد الكره أن أعود إلى قراءة ما أمليت فأنا أشعر عندما أنتهى من كتابة مقالة أو كتاب أننى تخلصت

من عبء يشق على أن أتحمله مرة أخرى.. يقول الدكتور طه حسين أيضا: أنا أكتب فى معظم الأحيان لأن لدى شيئا أرغب فى قوله، فلابد أن تكون هناك فكرة تأخذ عليك نفسك وتدفعك إلى تناول القلم.. كذلك فأنا أكتب لنفسى فى معظم الأحيان، ولكن ما أن أنتهى من كتابة الموضوع حتى أشعر برغبة طاغية فى أن أنقله إلى الغير. وعن علاقة الدكتور طه حسين بالأستاذ الجليل الشيخ محمد عبده يقول: لم أكن قد تجاوزت الرابعة عشرة من عمرى عندما سمعت لأول مرة بالشيخ محمد عبده، وإنى لأشعر اليوم بانفعال عميق إذ أتذكر الدرسين اللذين حضرتهما له واللذين كانا آخر درسين للأستاذ.

كان الشيخ محمد عبده سيد الأزهر دون منازع، كان محبوبا من قلة قليلة، مرهوب الجانب من الجميع، ولكنه كان يدير الجامعة العريقة ويبث فيها حياة جديدة ويطبعها بطابع العصر بحزم لا يتزعزع ولكن بلباقة لا متناهية، وهاتان هما الصفتان اللتان تميز بهما فى الواقع ذلك المصلح العظيم للإسلام؛ فلقد كان مسلما شديد الإيمان بالإسلام شديد التمسك بالسنة النقية، ولكنه كان قوى الإيمان بالتقدم، وكان يريد - مخلصا غاية الإخلاص - أن يوفق بين هاتين العقيدتين. فكان أن عكف برغبة بالغة منذ صباه على تحقيق فكرة الإصلاح التى شغلت بعد ذلك حياته بأكملها. كان يمقت الثورات والانقلابات الضخمة وأى عمل يتصف بالعنف، ولكنه لم يكن أقل كرها لجمود الفكر وللتوقف الذى هو أشبه بالتقهقر.

ولذلك سخر نفسه لمهمته بإصرار لا يشوبه تطرف فى العمل أو فى القول. وبدأ الشيخ محمد عبده الإصلاح بأن أدخل فى برنامج التعليم الأزهرى عددا من المواد التى من شأنها أن توقظ الفكر وتوسع من آفاقه ولكن دون أن تفتح أبوابه للشك وهى التاريخ والجغرافيا والأدب وبعض مبادئ الحساب والرياضيات، أما منهجه فى التدريس فكان جديدا كل الجدة، اهتم بالأفكار أكثر من الألفاظ، وكان يسائل تلاميذه ويحثهم على أن يسائلوه، ثم كان يحاول أن يدفعهم إلى الإجابة ويناقش إجاباتهم وينتهى بذلك إلى أن يفتح لهم آفاقا غير معروفة، ولقد غرس فيهم الرغبة فى الاطلاع والنقاش ودفعهم إلى حب حرية الفكر، وعلمهم التعبير عن آرائهم.

ويخرج طه حسين من حديثه بحقيقة واضحة تقول: إن الشيخ محمد عبده هو محرر العقل فى مصر. وفى فصل آخر يحدثنا الدكتور طه حسين عن شاعر الألمان جوته والشرق وقد اختار المترجم هذا الفصل من كتاب أصدرته اليونسكو فى سنة ١٩٤٩م احتفالا بمناسبة مرور مائتى عام على ميلاد جوته، وقد شارك فى كتابة هذا الكتاب مجموعة من الأدباء العالميين منهم ليوبولد سيدار سنجور و بندتو كروتشه وجول رومان وتوماس مان وغيرهم.

يقول طه حسين عن جوته: كان جوته يحب أن يحيا حياة ممتلئة ولكنه كان قادرا على تجنب الإفراط وأصبح مثالا فريدا أو يكاد للرجل الذى استطاع أن يذوق كل شىء وأن يحقق غاية التحقيق وجوده البدنى

والمعنوى والفكرى حتى سن الشيخوخة دون تعارض أو تنافر ودون أن تنتابه تلك الاضطرابات التى تقوض حياة المرء أو تتلفها أو تعكر صفوها. ولم تكن حياته الشخصية خالية من الأزمات فقد عرف المرض وغير قليل من خيبة الأمل، وواجه الصعوبات ألوانا، وكان أحيانا يقع فريسة للحزن ويشرف على اليأس ولكنه سرعان ما كان يعود إلى نفسه ولم تكن محنه فى نهاية المطاف إلا تجارب فى نظره، فيها ترهف المشاعر ويثرى الفؤاد ويزداد مضاء العقل، فكأن العالم ما وجد إلا ليمكنه من تنمية شخصيته، وينبغى أن نسلم بأن الطبيعة قد حبته بتكوين مناسب للحياة التى قدر له أن يحياها.. كان جوته يملك قدرة فذة على تعلم اللغات الأجنبية، فتعلم اليونانية والإنجليزية والفرنسية وعندما أراد قراءة الإنجيل عكف على دراسة العبرانية، وبعد فترة وجيزة بدأ يترجم العهد القديم مرتجلا وعندئذ نشأ اهتمامه بالشرق أولا وبالاستشراق بعد ذلك، وفى سن الثالثة والعشرين بدأ اطلاعه على القرآن الكريم فى ترجمة ألمانية بعدها أحب الإسلام وألف تراجيديا بطلها النبى الكريم محمد، وبلغ إعجاب جوته بالدين الإسلامى أن كتب فى أشهر كتبه «ديوان الشرق والغرب»: (إذا كان معنى الإسلام هو التسليم لله، فإننا نحيا ونموت جميعا على دين الإسلام).

إن كتاب «من الشاطئ الآخر» ليحمل لنا ثقافة رفيعة من كتابات الدكتور طه حسين باللغة الفرنسية، والتى اختارها وترجمها بدقة وعلق عليها الأستاذ عبد الرشيد الصادق محمودى فجاءت مفيدة لكل من يقرأها ويطلع عليها.

كتاب: أينشتاين طفلا

للدكتور: وليم عبيد

العالم ألبرت أينشتاين صاحب الاسم الأسطورى فى الابتكارات العلمية غير المسبوقة التى ساقت إلى العصر النووى والتى أوجدت صورة عن العالم أحدثت تحولا فى النظرة إلى الكثير من الحقائق الفيزيائية التى كانت سائدة.. ألبرت أينشتاين هذا كتب الكثيرون عن طفولته وكيف كانت بائسة عادية بل أقل من العادية لدرجة أن مدرسيه اتهموه بالغباء.

عن طفولة أينشتاين أصدر الدكتور وليم عبيد كتابا تحت عنوان: أينشتاين طفلا يقول فيه: عاش أينشتاين بين السنوات ١٨٧٩م - ١٩٥٥م من القرن الماضى وهو مكتشف قانون النسبية، وقد تفجرت طاقته الجبارة فى مرحلة الشباب بعد أن كان فى طفولته يعانى صعوبة فى التعلم، ومن ثم أصبحت سيرته ومسيرته تعطى ارتياحا وأملا للكثيرين الذين يواجه أطفالهم بعض الصعوبات فى المدرسة. كان ألبرت يعانى عسرا فى الكلام وصعوبات فى تذكر الحقائق والكلمات والنصوص واللغة الأجنبية وطبقا لبعض من كتبوا عن تاريخ حياته فإن أفراد عائلته كانوا يعتقدون أن ألبرت أينشتاين طفلا بليدا وأن قدراته لا تبشر بالخير، وآخرون يرون بغير ذلك إلا أن الشواهد كانت

تشـير إلى أن سلوكياته لم تكن متسقة.. قال عن نفسه إنه لم يكن قويا ولا ضعيفا وأن ضعفه الأساسـى كان يتمثل فـى ضعف ذاكرته فى حفظ الكلمات والنصوص وإن معلم اللغة اليونانية قال له يوما: لن تكون أبدا شيئا ذا بال..

وقالت أخته ماجا: إن النمو العادى للطفولة كان يسير عنده ببطء وإنه كان عنده صعوبة فى الكلام حتى إن من حوله كانوا يخشون عليه أنه لن يستطيع التحدث أبدا.. البعض رفض فكرة أن ألبرت كان ضعيفا وعلل هذا التناقض بسبب اختلاف الكتاب فى معنى ومدلول مصطلح العسر.

منذ البداية أظهر ألبرت أن اهتماماته تختلف عن اهتمامات وقدرات أقرانه كان يعزف عن المشـاركة فى الألعاب الصاخبة بل يشغل نفسه بأشـياء أكثر هدوءا، بدأ تعلمه الأول فى المنزل وهو فى سن الخامسة ولكنـه لم يكن علـى وفاق مع معلمته وكان يثـور عليها إلى أن رفضت الاسـتمرار فى تعليمه. التحق بالمدرسة فى سـن السابعة وكان يحب الموسـيقى وأظهر فيها تميزا سماعا وعزفا على الرغم من مشاغباته مع معلمة الموسـيقى. ولكن مدرس الحساب كان متشـددا وقاسيا ويعتمد فى طريقة تدريسـه علـى الضرب الشـديد على الأيـدى والضغط على مفاصـل الأصابع، ولم يكن ألبرت يظهر تفوقا فـى الرياضيات وغيرها مـن مواد، ذلك لأنه كان غير منظم ولا يقدم إجابات سـريعة لأسـئلة المعلميـن بل كان يحتاج إلى وقـت ليتأمل ويفكر فيها قبل أن يجيب،

وبالتالى اعتبره المعلمون تلميذا متوسط المواهب. فى مرحلة الرشد كان يستطيع أن يتناول المسائل الصعبة فى التفاضل والتكامل بحذق وحدسى رياضى غير عادى برغم استمرار ضعفه فى إجراء العمليات البسيطة.. وحتى فى المراحل الأولى فى بناء أكثر أعماله إبداعا فى نظرية النسبية الخاصة كان يقع فى أخطاء فى إجراء عمليات رياضية بسيطة، وكتب مرة لزوجته يقول لها: إنه يعمل بشغف على ديناميكا حرارية للأجسام المتحركة وأنه كان لديه شك فى صواب أفكاره عن الحركة النسبية ولكن شكوكه كانت فقط بسبب أخطاء رياضية بسيطة وأنه أصبح يعتقد بصواب أفكاره.

فى سن الخامسة عشرة انتقلت عائلة أينشتاين من ألمانيا إلى إيطاليا وكان مخططا أن يتركوا ألبرت فى ميونخ لاستكمال عامه الدراسى، ولكن بسبب كراهيته للمدرسة الثانوية الألمانية ترك المدرسة وأصبح متسربا من التعليم ولكنه وعد والديه بأنه سيعد نفسه لامتحانات القبول بالجامعة من خلال دراسته الذاتية بالمنزل.

فى امتحان القبول بالجامعة نجح فى الرياضيات والفيزياء ولكنه رسب فى النبات واللغة، دفعه تصميمه للالتحاق بالجامعة إلى الالتحاق بمدرسة متقدمة وحصوله على دروس خصوصية داخل الجامعة. بعد تخرجه من الجامعة ظل أينشتاين عاطلا وقضى أكثر من عامين فى حالة اجتماعية فقيرة تصل إلى درجة المأساة، عمل بعدها بالتدريس ثم موظفا صغيرا فى مكتب براءة اختراعات.

قدم أينشـتاين بعد ذلك بحثا فى الديناميـكا للحصول على درجة الدكتوراه لكن البحث رفض.

اسـتطاع بعد صبر وهـدوء ودراسـة متأنية أن ينشـر نظريته فى النسبية.. أحدثت النظرية تحولا فى الفكر والعلم والفلسفة فى العالم، وأقبـل عليه العلماء مـن كل بقاع العالـم وتلقفته الجامعـات ومراكز البحوث والتميز وحاز شهرة عالمية واسعة.

يعلق الدكتور وليم عبيد على طفولة أينشـتاين قائلا: إنه درس لمن يتمسـكون باختبارات القبول والمقابلات الشـخصية التى يعتبرونها تنبؤية فى الحكم على قدرات الأطفال على التعلم!.

■■■

كتاب: عاطف العراقى الوجود والخلود

للدكتورة: زينب عفيفى

مساء

يـوم الأربعاء ٢٩ من شـهر فبراير عام ٢٠١٢م رحل عن عالمنا أسـتاذ جليل، ومفكر عظيم هو الدكتور: عاطف العراقى، بعد رحلة شـاقة قضاها فـى محراب العلـم والفكر والثقافـة.. رحلة كان يحدوهـا الأمل والألم، والتفاؤل والتشـاؤم، والعطاء والأخذ، الشـقاء والسـعادة، عن هذه الرحلة العلمية والأكاديمية والفلسفة أصدرت دار المعارف من خلال سلسـلتها الثقافيـة اقرأ كتابا تحت عنوان: عاطف العراقى الوجود والخلود.. بقلم الدكتورة زينب عفيفى أسـتاذة الفلسفة بالجامعـة، وتلميذة الراحـل الدكتور عاطف العراقـى، ومن هنا جاء الكتاب صادقا معبرا عن هذه الشخصية الموهوبة العبقرية التى خدمت الفكر الفلسفى فى مصر والعالم العربى، قرابة نصف قرن.

تقول المؤلفة شـق أسـتاذى طريقه فى الحياة والدراسـة، وتحمل شـظف العيش فى المراحل الأولى من حياته، وعاش معيشة المتكرين والزاهدين لا تسـتهويه مظاهر الأبهة، ولا يميل إلى الحياة الصاخبة اللاهيـة، ولا يحفل برغد العيش ورفاهيته، بل كانت سـعادته حين يسـتكن فى نهاية يومه الشـاق المتنوع بين الـدرس والمحاضرة، بين

النـدوة والحوار، بين المناقشـات العلمية والمشـاركات الثقافية، فى صومعتـه وبين أحبائه ورفقائه من أمهات الكتـب، وذخائر المؤلفات والمراجـع، بين فلذات أكباده من مؤلفاته وبحوثه وإبداعاته فى مجال الفكر والفلسفة والثقافة. كان عطاؤه بلا حدود فالتف حوله الكثيرون. ولم يدخر وقتا ولا علما ولا فكرا ولا مشـورة، وإنما وهب الجميع دون تفرقة، فقد كان يتعامل مع الإنسـان كإنسان فى علاقة زمالة أو صداقة أو أخوة أو أبوة، علاقة مجردة من كل أنواع المطامح والمطامع قلما نجد لها مثيلا فى يومنا هذا.

احتل الدكتور عاطف العراقى مكانة كبيرة فى تاريخ الفكر الفلسفى العربى، فهو أسـتاذ بكل ما تحمله الأسـتاذية من معان سامية، وقيم نبيلة، ولم يكن نشـاطه محصورا داخل مدرجات الجامعة فحسب، بل كان شـعلة نشـاط، والحقيقة إننا إذا ذكرنا الفلسفة العربية – وليست الإسلامية كما كان يصر على تسميتها بذلك – فلا شك أنه قد أسهم بدور كبير فى بحث ودراسـة تاريخ الفكر الفلسفى العربى بمختلف مباحثه وقضاياه ومشـكلاته وشـخصياته، بل والتأريخ له مسـلطا الضوء على الجوانـب العقلانية المضيئة فى هذا الخضم الهائل من التراث سـعيا لربط الماضى بالحاضر لاستشراف المستقبل واستلهام جذور العقلانية والتنوير من تراث فلاسـفة العرب وبخاصة فيلسوفه المقرب إلى فكره ومنهجه (أبو الوليد بن رشـد)، وهل يمكن التغافل عن افتتانه بفلسفة وفكر ابن رشـد العقلانـى التنويرى حتى إنه خصـص أكثر من مؤلف

لعرض وتحليل فلسفته ومنهجه العقلانى فقد قضى فى رحابه أكثر من أربعين سنة. يقول الدكتور عاطف العراقى:

«لقد قضيت مع التراث الرشدى مدة من الزمان زادت على أربعين عاما وتكاد تقترب من نصف قرن حتى إننى أكاد أتنفس ابن رشد وأفكاره، ولا أتصور لنفسى حياة دون منهج هذا الفيلسوف الشمخ العملاق». أثرى الدكتور عاطف العراقى الحياة الثقافية فى مصر والعالم العربى بعشرات المؤلفات التى حملت فى مضمون صفحاتها دعوته إلى حياة النور والتنوير من خلال منهج عقلانى تجديدى رأى أنه المنقذ للأمة من ظلام الجهل والتخلف والخرافة، وكم شهدت المحافل الدولية والمؤتمرات العلمية الكثير من الحوارات الجادة والمناقشات الحامية دفاعا عن منهجه ورؤيته التجديدية التنويرية التى آمن بأن اتباعها سيعيد إلينا مجدنا القديم المفقود، وسيجعل لنا مكانة بين دول العالم المختصر فلذلك جاهد من أجلها متخذا من النقد والتهكم والكتابة والتدريس أسلوبا للتنمية ومنهجا للتغيير وقد كان يعتبر ذلك بداية التحرر العقلى من أسر العادات والتقاليد الفكرية والثقافية البالية، وكأنه فى سباق مع الزمن إذ أخذ يلح على توصيلها بشتى الطرق غير مبال بما قد يتعرض له من محن ومكائد واتهامات زائفة لكنه كعادته كان يخرج من كل ذلك أكثر قوة وأشد صلابة.

وتلقى المؤلفة الدكتورة زينب عفيفى الضوء على شخصية الدكتور عاطف العراقى فتعرفنا أنه كان عف اللسان، دمث الخلق، صادق القول

والفعـل ملتزما ودقيقا فـي تعاملاته وارتباطاته.. أفـكاره هى حياته وحياته هى فكره إلى حد كبير وكانت قيم الصدق والوفاء والتسـامح من أكثر القيم التى عرفها كل من عرفه وتعامل معه واقترب منه. وإذا كنا نجد من بين تلاميذه وأصدقائه من بادله حبا بحب وتسـامحا بتسـامح فإننـا نجد الأحقـاد والضغائن، ولكن مـاذا نفعل إزاء هـذه النزعات البشـرية التى كان مدركا لحقيقتها وعلى علم بها وفهم دقيق لها؟ وهو يقول فى ذلك:

«لقـد أصبح الناس غيـر الناس، وتطاول الأشـباه علـى الأصول، واعتدى الجهلاء على العلماء، لقد تحول أكثرنا للأسـف الشـديد إلى ذئاب بشرية ينهش الواحد منهم لحم أخيه حيا وميتا ويقوم بامتصاص دمائه بطريقة ينزوى أمامها خجلا أشد الحيوانات فتكا بالإنسان، لقد تحولت كلماتنا إلى خناجر أشد فتكا من أخضر القنابل، إن كلمة واحدة مسـمومة قد تقضى على إنسـان شريف بطريقة أشـد إيلاما من وسائل مادية أعدت للخراب والتدمير».

وتهتم المؤلفة الدكتـورة زينب عفيفى فى كتابها: الدكتور عاطف العراقى الوجود والخلود بأهم مؤلفات الدكتور عاطف العراقى ودراساته منها:

- النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد.
- الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا.
- مذاهب فلاسفة الشرق.

- تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية.
- ثورة العقل فى الفلسفة العربية.
- الميتافيزيقا فى فلسفة ابن طفيل.. ومعنى كلمة ميتافيزيقا هو ما بعد الطبيعة.
- المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد.
- الفلسفة الإسلامية.

كما كانت له مؤلفاته وتحقيقاته الخاصة والتى تشير إلى منهجه العقلى التنويرى النقدى ومنها:

- العقل والتنوير فى الفكر العربى المعاصر.
- الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل.
- الإسلام دين العلم والمدينة للشيخ محمد عبده.

هكذا كان الدكتور عاطف العراقى مدافعا مستميتا عن الحرية الفكرية والعقلانية التنويرية، وكان يأمل فى مجتمع تسوده العدالة والمحبة والتراحم.

■■■

كتاب: محمد عبد الوهاب.. رحلتى.. الأوراق الخاصة جدا

إعداد وتقديم: فاروق جويدة

قبل

رحيل الموسيقار محمد عبد الوهاب أوصى زوجته السيدة نهلة القدسى أن تسلم أوراقه الخاصة المتناثرة، والتى كتبها فى فترات زمنية متباعدة، للشاعر فاروق جويدة صديقه والذى كان قريبا منه طوال الربع قرن الأخير من حياته.

ويبدو أنه كان هناك اتفاق بين الموسيقار والشاعر على هذا الموضوع.. تسلم فاروق جويدة الأوراق ونظمها وبوبها وأعاد صياغتها ونشرها كتابا تحت عنوان:

«محمد عبد الوهاب.. رحلتى.. الأوراق الخاصة جدا.. إعداد وتقديم فاروق جويدة».

الكتاب ينقسم إلى خمسة أبواب هى:

رحلتى مع لفن، رحلتى مع الناس، رحلتى مع المرأة والحب. رحلتى مع السياسة، وأخيرا رحلتى مع الحياة.

يعرفنا فاروق جويدة أن محاوراته مع عبد الوهاب فى السنوات العشر الأخيرة من حياته كانت دائمة، تناولت عدة موضوعات، فى

الفن والسياسة والفكر وشئون الحياة كافة، وبخاصة أن عبد الوهاب الذى نشأ فى رحاب أمير الشعراء أحمد شوقى كان يحمل تقديرا كبيرا للشعر. أما مدرسته الحقيقية باعترافه فقد كانت الحياة، ولهذا حاول أن يستفيد منها إلى أبعد الحدود... كان يتحاور كثيرا ويحاول أن يثير الجدل لكى يعرف، وكانت لديه قدرة عجيبة على امتصاص الخبرات والتجارب والأفكار من الآخرين. ولم يكن يتعالى على المعرفة ولا يعنيه أبدا مصدرها صغيرا كان أم كبيرا، كاتبا أم فنانا، وظل عبد الوهاب متحمسا للمعرفة حتى آخر لحظة من حياته.

وفى مذكراته الخاصة جدا يهتم ويحتفى الموسيقار محمد عبد الوهاب بالموسيقى المجردة وبالغناء الجماعى والمسرح الغنائى والأوبريت أكثر من الأغنية الفردية التى برع فيها.

والموسيقى الرفيعة فى رأيه هى تلك التى تخاطب القلب والعقل، لأنها إذا خاطبت القلب فقط سرعان ما ينساها مستمعها، لأن العاطفة لها نزوات وهى دائما فى تغير. والموسيقى التى تخاطب العاطفة أغلبها يخاطب الغرائز السطحية، وأما العقل فهو الاستمرارية والتأمل والتفكير.. ويربط عبد الوهاب بين الألحان والأخلاق، فيقول: الألحان العربية منبثقة من الأخلاق العربية، فالأخلاق العربية تعتمد على المجاملات الكثيرة ذات اللف والدوران والزخرفة الكلامية والفهلوة وسرعة الخاطر وخفة الدم والحس المادى، وكل هذا يتجلى فى ألحاننا، الزخرفة الصوتية المستمرة خصوصا العزف المنفرد، حيث

نلاحظ «المرغى» المستمر فى الجمل اللحنية، ومخاطبة الحس أما الألحان الغربية فإنها تحكى أخلاقهم: الخطوط المضيئة، الأعمدة الواضحة، الاعتماد على أسس واضحة أكثر من التفاصيل، إنها تشدك إلى التفكير البعيد أكثر مما تشدك إلى متعة اللحظة الحاضرة... يقول محمد عبد الوهاب:

أعترف إننا بدأنا.. وأمامنا الكثير لتغيير خلقنا فتتغير موسيقانا... وعندما أستمع إلى الموسيقى الغربية فأنا أمام عمل وبناء موسيقى هندسى معمارى، فالجملة الموسيقية التى اختارها الموسيقار لعمله أتابعها وأستمع إليها وأنا مشدود لأعرف بدايتها ونهايتها. وعندما أسمع غناء عربيا، فالجملة الواحدة تتردد عشر مرات أو عشرين مرة باللحن نفسه والطريقة نفسها لا جديد، لا علم لا إضافة لا هندسة، لا بناء، لا مفاجأة، عند ذلك أحس بالوقت وقيمته اللهم إلا إذا كان يوجد صوت خارق القدرة، فيضيف بعض التطريز الذى يشجعنى على البقاء قليلا، هذا هو الفرق: العلم... العلم... العلم..

تكشف لنا رحلة الفنان محمد عبد الوهاب مع الفن فى مذكراته التى ضمها كتاب فاروق جويدة: «محمد عبد الوهاب.. رحلتى.. الأوراق الخاصة جدا» عن مسحة دينية ونزعة روحانية عالية، فهو يرى أن الفن يقربه إلى الله أكثر من أى وقت يقول: «عندما أندمج فى عمل فنى أحس بأننى أقرب إلى الله أكثر من أى وقت وربما كان السبب فى ذلك أن الفن يخاطب مواقع الطهر فى الإنسان كالحب والجمال والخلق والمثل

العليـا والضمير، والوجدان والخير، والله سـبحانه وتعالى خير، فأنا أكثر قربا منه، وألامس هذه المواقع الطاهرة، فالفنان له علاقة مباشرة بالله، ورضاؤه هو أكبر تكريم له».

يحدثنا الموسـيقار محمد عبد الوهاب فـى مذكراته هذه عن رأيه بصراحة فى أسـاتذته وزملائه وتلاميذه الفنانين ويبدأ بالسيد درويش الـذى يرى أنه صاحب أفضال كثيرة علـى الألحان العربية، فهو الذى أدخل الأسـلوب التعبيرى فـى ألحانه حتى فـى الأدوار القديمة التى لحنهـا، ومن أفضاله أيضا أنه كسـر المقامات المتجـاورة فى لحنه، وكأنه يريد أن يلطش المستمع ويقول له: تنبه لما أسمعك إياه، ويظهر هذا جيدا فى الآهات الموجودة فى دور «ضيعت مستقبل حياتى»، وكان الملحنون قبل السـيد درويش لا يفكرون كثيرا فى التعبير باللحن عن معنى الكلمة، فربما تسـمع لحنا حزينا علـى كلام كله بهجة وفرح، وربما تسمع لحنا مفرحا على كلام قاتم وحزين. السيد دروش له أفضال كثيـرة على كل ألوان الغناء من تواشـيح ودور وأغنيـة خفيفة وأغنية شعبية ومسرح.

وعن أم كلثوم يقول عبد الوهاب: كان غياب أم كلثوم سببا فى هبوط مستوى الألحان خصوصا بين الناشـئين من الملحنين وملحنى الدرجة الثانيـة، لأن أم كلثوم كانت أملا لهؤلاء جميعـا، كانت هدفا يريدون الوصول إليه، فأم كلثوم غنّت للسنباطى وهو ناشئ، وغنت لبليغ حمدى وهو ناشئ وغنت لسيد مكاوى. ويستطرد الموسيقار محمد عبد الوهاب

فى مذكراته الخاصة فيقول: سألت نفسى ما السر فى استمتاعى بألحان رياض السنباطى؟ ووجدت الجواب سريعا إنه الصدق. فالسنباطى صادق فيما يقدمه وألحانه منبعها منه هو، وألحان السنباطى فيها الجلال والاحترام والجمال، وتحترم التقاليد والآداب والعرف، وهو من أقدر المطربين الذين استمعت إليهم كذلك فهو عواد نادر الوجود. ويصف عبد الوهاب كمال الطويل بأنه فنان موهوب وعاقل، والجملة عنده عمل متكامل ليس فيه مونتاج، لأنه مدروس وفيه جهد وتعب ومعاناة.

أما بليغ حمدى فهو ملحن موهوب لماح، وهو ملحن صالون وشارع لكنه ملحن شارع أكثر، لا يحس بجمال غيره.

ويقول عبد الوهاب عن محمد الموجى: هو مخ رياضى وأجمل جملة عنده تلك التى تحتوى على تركيبات رياضية منطقية، وليس عند الموجى وسط، إما أعمال جديرة بالتقدير الكبير وإما لا شىء، أما زكريا أحمد فبمجرد أن تسمعه شخصيا يشدك إلى عصره فى يسر، وتعيش فى متعة تشبه متعة السائح الأوربى الذى يتجول فى الغورية.

وفى رأى الفنان محمد عبد الوهاب أن سيد مكاوى مريح جدا ومهدئ كفنان، وعندما يغنى أغنياته بنفسه فهو يقول للمغنين والملحنين: هكذا يكون الغناء.

من الطبيعى أن يتناول الموسيقار عبد الوهاب فى أوراقه الخاصة الحديث عن المطربين والمطربات ورأيه فيهم، فهو يقول عن فيروز إنها أكفأ من تغنى الأغنية القصيرة، وعبد الحليم حافظ كان ضعفا وقوة

وهـو لا يصدق إلا حينما يغنى، وفايزة أحمد نبرة جديدة حلوة لا صلة لهـا بأصوات المطربـات الأخريات.. نجاة تفكير فـى الأداء أو الأداء المفكـر.. تتركنى وأنـا فى حزن لذيذ. أمـا وردة فهى صوت متوحش يغنى على مزاجه.

يشـمل كتاب: «محمد عبـد الوهاب.. رحلتـى.. الأوراق الخاصة جـدا.. إعـداد وتقديم فاروق جويـدة»: آراء أخرى كثيـرة فى الحياة والنـاس والمرأة والحب وحكمة سـنوات العمر ممـا يضيف إليه بعدا إنسانيا رائعا ومفيدا.

■■■

كتاب: محمد القصبجى

تأليف: صميم الشريف

كتب

السيرة الذاتية من الكتب المهمة للشباب لأن فيها خبرة الزمن وتجارب السنين لعظماء المفكرين والعلماء والأدباء، ولابد أن فى قراءتها فائدة كبيرة للجميع.

وفى هذا المجال نتناول كتاب: «محمد القصبجى» تأليف صميم الشريف.

فى البداية يقدم لنا المؤلف الفنان محمد القصبجى كملحن وموسيقى مصرى ولد وتوفى فى القاهرة، وتزامنت ولادته مع ولادة السيد دوريش. أبوه هو الشيخ على القصبجى، كان منشدا يعمل مع أشهر مطربى زمانه، كما كان من أبرع عازفى العود، وملحنا قديرا، لحن لعبده الحامولى، ويوسف المنيلاوى، والمطربة ودودة، وذكى مراد ومحمد السنباطى.

حينما بلغ محمد القصبجى الثامنة من عمره أخذ يقلد أباه فى العزف بالعود ويدندن مثله بالأغانى الدارجة. فى عام ١٩٠٢م ألحقه أبوه بمدرسة دينية على الرغم من تعلقه بالموسيقى والغناء. وفى عام ١٩١٣م أنهى دراسته بنجاح، فألحقه أبوه بمدرسة المعلمين الأولية، وإرضاء لوالده تابع دراسته ونجح، وعينته الحكومة بمكتب زينب

بنـت خليل فى بولاق. ولم تمنعه وظيفته من الاشـتغال بالفن، إذ كان يمارس وظيفته نهارا معمما. وفى الليل يمارس الفن بالبدلة والطربوش وبعد عامين على ذلك استقال من مكتب زينب وتفرغ للفن، وبلغ إيراده الشـهرى عشـرين جنيها من عمله عازف عود ضمن التخت الشـرقى «الفرقة الموسيقية» فى الأفراح والحفلات. قرر محمد القصبجى بعد ذلك أن ينصرف إلى التلحين أسوة بغيره ممن يقلون عنه موهبة، وابتسم له الحـظ فجأة حينما غنت له المطربة توحيدة التى تعمل فى صالة «ألف ليلة وليلة» أول ألحانه دور «الحب له فى الناس أحكام» فطارت شهرته إلى المغنيات وشركات الأسطوانات على حد سواء. فى عام ١٩٢٠م لحن أغنيتة الشـهيرة «بعد العشـا يحلا الهزار والفرفشة» التى تخاطفتها مطربات زمانه كافة مثـل: ملك، واللاوندية، وفاطمة قدرى، وعزيزة فخرى. وفى العام نفسه تعرف إلى المطربتين الكبيرتين فتحية أحمد، ومنيرة المهدية التى غنت له قبل أن تراه أغنية «بعد العشـا» وتعرف أيضـا إلى محمد عبد الوهاب الـذى درس العزف على العود على يديه وفـى عام ١٩٢٤م غنت له أم كلثوم مـن ألحانه طقطوقة «أغنية خفيفة» «قـال إيه حلف ما يكلمنيـش» ومن ثم تتابعت ألحانـه فغنت له «أنا عندى أمل تنسـى إللى حصل» و «من السنة للسنة يا حلو لما أنظرك» و «إن حالـى فى هواها عجـب» و «صحيح خصامك ولا هزار»، وقد ارتفع أجر القصبجى فى هذه الألحان من ثمانية جنيهات إلى خمسـة عشـر جنيهـات للحن الواحـد. وكان عليه أن يقدم جديدا فـى ألحانه، وأن

يجعـل هذا الجديد لصوت أم كلثوم دون أن يقطع صلته بمنيرة المهدية التـى لحن لها «مثال الحمام»، «اسـمع أغانى المهدية» وأوبريت «كيد النسـاء» و «المظلومة» التى شـاركه فى تلحينها كامل الخلعى ومحمد عبـد الوهاب، وأوبريت «حياة النفوس» التى ألفها أحمد ذكى السـيد. كذلك لحن فى الفترة نفسها لمسـرح نجيب الريحانى أوبريت «نجمة الصباح» التى شاركه فى تلحين أجزاء من الفصل الأخير منها الموسيقى إبراهيـم فوزى. وفى عام ١٩٢٦م لحن لأم كلثوم أربعا وعشـرين أغنية مختلفة الأنواع، وبعدها لحن ثلاث أغنيات واحدة منها فى رثاء (سعد زغلول) ومثلها فى عام ١٩٢٨م وكان من بينها مونولوج «إن كنت أسامح» الـذى عد منعطفا مهما فى تاريـخ الغناء العربى؛ ففى هذا المونولوج أعطـى القصبجى الصوت الإنسـانى - للمرة الأولى فى الغناء العربى - أبعاده الدرامية فى التعبيـر ولم يعد المطرب مجرد مغن يؤدى ألحانا لكلمات مجردة من المشـاعر، وإنما أضحى يخصص ما يعرف من فنون الغناء لخدمة الغناء. وقد بيع من هذه الأغنية المسجلة على أسطوانات أوديون مليون أسطوانة، وهو رقم أسطورى فى عام ١٩٢٨م، ثمن اللحن خمسـة عشـر جنيها، وأم كلثوم ثمانين جنيها مقابل الأداء. بعد هذا المونولـوج تراوحت ألحان القصبجى فى قوتهـا بين مد وجزر إلى أن أعطـى أم كلثوم مونولـوج «خاصمتنى» وأعقبه مونولـوج «ياما ناديت» لتسـتتب له من خلالها السيادة على فن المونولوج الذى جاء به، ولكى يحقـق هدفه بصورة أقوى وأعمق انصرف القصبجى مع أحمد رامى إلى

دراسة الأغنية الحديثة التى يتطلبها عصر ثلاثينيات القرن العشرين، ولما كان رامى متأثرا بالرومانسية الفرنسية فقد عرض أفكاره لنظم الأغنية على القصبجى فتجاوب معها واشترط عليه فى الوقت نفسه أن تكون تفعيلات القصيدة أو الزجل متعددة لتساعد التلحين على التنويع والتلوين فى المقامات والإيقاعات، وأطلق على هذا النوع من الأغانى التسمية نفسها السائدة فى أوربا (مونولوج Monoloue) وهكذا ولدت بفضل القصبجى ورامى المرحلة الرومانسية فى الغناء العربى لتلتهم شيئا فشيئا قوالب الغناء المعروفة، وكان فن الدور أول ضحاياها، وكذلك الأغنية الدارجة ذات الهدف الاجتماعى والسياسى التى أرسى دعائمها السيد درويش. وفى عقد الثلاثينيات، أعطى القصبجى ورامى فيضا من الأغانى الرومانسية لأم كلثوم من أبرزها: «طالت ليالى البعاد»، و «فين العيون»، و «ياللى جفاك المنام»، و «أيها الفلك على وشك الرحيل».

تمرد القصبجى على الأوضاع الموسيقية السائدة فى عصره قبل محمد عبد الوهاب، وفى خط مواز للسيد درويش، إذ كان ينطلق من فكرة التخلص من أساليب الغناء الأعجمية إلى أساليب معاصرة أكثر حداثة من تلك التى عفا عليها الدهر. وتمرد القصبجى نابع من أرضيته الثقافية والفكرية، فهو الوحيد بين زملائه الموسيقيين الذين عاصروه الحاصل على مؤهل علمى أتاح له التدريس فى مدرسة المعلمين قبل أن يتمرد على الزى الرسمى الملزم للمعلمين، وهذا يعنى أنه يمتلك

الوسائل التى تساعده على التعليم والتعلم وتثقيف نفسه قبل تثقيف غيره، وهذا التمرد قاده إلى التخلص من الدولاب الموسيقى الذى كان يسبق الغناء ووضع بدله مقدمة موسيقية قصيرة، أو لازمة موسيقية تترجم إلى حد ما معنى وروح الأغنية، ورافق هذا التمرد تمرد آخر على أسلوب الإلقاء الغنائى الذى اتخذ شكلا إبداعيا، وهذا الإبداع لم يأت عفو الخاطر، وإنما نتيجة احتكاك القصبجى بأساليب الغناء الغربية التى عايشها وتعلمها ودرسها من وراء إدمانه عروض الأوبرا والفرق السيمفونية وأشكال التأليف الغربى الأخرى والتى ألزم نفسه بمشاهدتها والاستمتاع إليها.

امتد تمرد القصبجى على الشكل الفنى للطقطوقة الذى جاء به السيد درويش. إذ ألغى الرتابة اللحنية التى تشمل أغصان الطقطوقة كلها دون ان يمس القالب الفنى كشكل غنائى معتمد وكانت أول أغنية طبق فيها ذلك هى طقطوقة «إنت فاكرانى واللا نسيانى» عام ١٩٣٢م لأم كلثوم وقد دفع بذلك سائد الملحنين بما فيهم محمد عبد الوهاب والسنباطى إلى الاقتداء به، وقد وجد فى صوت ليلى مراد الصوت المثالى لأداء هذا النوع من الغناء الخفيف فلحن لها، ولأسمهان ولأم كلثوم عشرات الأغنيات التى استخدم فيها الكورال على صوتين، والانسجام الموسيقى (الهارمونى) Harmony كما فى أغنية «قلبى دليلى» لليلى مراد و «إمتى هتعرف إمتى» و «يا طيور» لأسمهان.. شارك القصبجى فى عقد ونيف من الزمن (١٩٣٥م - ١٩٤٨م)

فـى تلحين أكثر من خمسـين فيلما لحن فيها أغنيـات لعدد كبير من المطربات والمطربين منهم نور الهدى، صباح، سعاد محمد، أسمهان، ليلى مراد، شـادية، هدى سـلطان، وشارك فى تلحين خمسة أفلام من أفلام أم كلثوم السـتة، ووضع من وراء تجربته التلحينية فى السـينما قالبا للطقطوقة السينيمائية تتميز بلزماتها الموسيقية الحيوية، وآخر للقصيدة السينيمائية، أعطى فيها نموذجا خالدا فى قصيدة «ليت للبراق عينا فترى» التى ظهرت فى فيلم «ليلى بنت الصحراء»، لتغير الأساس الذى سـار عليه السـنباطى فيما بعد تلحين القصيدة السـنيمائية كما قصائد «أصون كرامتى» و «أنا وحدى» و «أيها النائم» وغيرها.

تـزوج القصبجى أربـع مرات وكله أمل فى ولد يرثه ويرث اسـمه ويتابع مسيرته، ولكن أيا من زوجاته الأربع لم تسعده بولد، فاكتشف أنه عقيم، ومن هنا كانت أعماله المبدعة الخلاقة وبصماته الواضحة فى الموسيقى والغناء هما أولاده. أجمل أعمال القصبجى غير التى ذكرناها «رق الحبيب» لأم كلثوم، و«يارتنى أنسى الحب» و «يا جمال العصفور» لليلى مراد.

قال عنه محمد عبد الوهـاب: علمنى محمد القصبجى العزف على العود، كما علمنى كيف ألحن المونولوج.. وقال رياض السنباطى: عالم ومعلم كبير سبق عصره بمائة سنة على الأقل.

عاش محمد القصبجى بين السنوات ١٨٩٢م - ١٩٦٦م.

■■■

كتاب: يوميات عبقرى

للفنان: سلفادور دالى

كثيرون يجمعــون بين العبقرية والجنــون، ولكن الحقيقة عكس ذلك تماما، فهنــاك فرق كبير بين العبقريــة والجنون، وإذا كان الجنون هو فقد العقل فإن العبقرية هى قمة العقل.

وفرق بينهم وبين الإنســان العــادى، وهذا ليــس جنونا بالطبع، لكنــه ثقة فى النفس وإيمان بها، من هؤلاء عبقرى الفن التشــكيلى فى القرن العشرين، والفنان الأسبانى العالمى «سلفادور دالى» الذى اشتهر بلوحاته السيريالية التى بيعت بملايين الدولارات، كذلك عمل فى فن النحت وتصميم الديكور والأزياء وزجاجات العطر ونظم الشعر وتأليف الكتب. ولم تخلُ حياة سلفادور دالى من طرائف منذ صغره وحتى أصبح فنانــا كبيرا عالميا، فقد طرد من أكاديمية الفنون الجميلة بمدريد وهو شــاب صغير حين قال لأعضاء لجنة الامتحان أنه يعتقد إنه يعرف عن موضوع الامتحان وهو «رسام عصر النهضة رفائيل» أكثر مما يعرفه كل أعضاء اللجنة مجتمعين!.

وقد رزق ســلفادور دالى بزوجة هى الســيدة جالا، كانت بالنسبة له خير معين ومســاعد على تألــق موهبته، حتى قال عنها: إنها أكثر حرصا على مصلحته منه هو، حتى ليصعب عليه تخيل الحياة دونها.

هـذا الفنان العبقرى سـلفادور دالـى كتب مذكراتـه تحت عنوان طريف هو «يوميات عبقرى» يتحدث عن حياته التى لاتخلو من طرائف كثيرة، وعن زوجتـه ولوحاته وأصدقائه وهو لا يخجل من أن يقدم لنا يومياته بحلوها ومُرها وسلبياتها وإيجابياتها، وفى البداية يقول:

«الفرق الوحيد بينى وبين المجنون هو أننى لست مجنونا!»

يقصد بذلك إنه يسـتمتع بكل ما يستمتع به المجنون من حرية أن يفعل أى شـىء يريده وفى أى مكان بغير أن يـلام على ما يفعل، لأنه ليـس على المجنون حرج.. وليس على العبقـرى أيضا مع فارق مهم.. فالعبقـرى على خلاف المجنـون يعى جنونه ويفخر به، ويسـتثمره لصالح فنه!

وقبل أن نعرض يومياته أحب أن أقول إن سلفادور دالى حقق مجده الفنى بالعمل الشـاق المضنى اليومى الذى لايقل عن عشـر ساعات فى مرسـمه، وابتعد عن اللهو والعبث والكسـل والتراخى حتى وصل إلى العبقرية التى ينشـدها والتى يلقب نفسه بها، وهذا لم يمنعه أن يكون متواضعا بسـيطا مع الأشخاص العاديين البسـطاء والشباب والمعجبين بفنه، وقد اشـتهر خلال حياته بتقاليعه العجيبة الطريفة مثل شاربه الطويل المنتصب إلى أعلى كإريال السيارة، وملابسه الفضائية الخاصة التـى كان يصممها لنفسـه، ومفاجآته الصارخـة، كذهابه إلى جامعة السوربون فى باريس لكى يلقى فيها محاضرة راكبا سيارة رولز رويس ثمينة مملوءة عن آخرهـا بثمار الكرنب الكبيرة، بحيث لا يبدو منها

سوى رأسه، وهو يعترف فى كتابه هذا «يوميات عبقرى» أنه كان يقوم بهذه التصرفات والأفعال غير المألوفة لكى يشد انتباه العالم إليه، وذلك لأنه يؤمن بأن ما يلتزم به البشر العاديون فى حياتهم الخاصة من مراعاة لأعراف السائدة، لاينبغى أن يلتزم به العباقرة.. لأن العبقرية فى رأيه ضد القيود،ولأنه لا يهم ماذا سيقول عنك الناس؟ وإنما أن «يقولوا» ويظلوا يقولون دائما مدحا أو قدحا ، لكى تبقى فى بؤرة الاهتمام!

ومن طرائف يوميات العبقرى سلفادور دالى قوله:

- فى كل صباح ينتابنى بمجرد الاستيقاظ فرح غامر حيرت فى تفسير أسبابه، حتى اكتشفت سره اليوم فقط.. وهو كونى «سلفادور دالى» وإنى لأسال نفسى كل يوم: ما هى الأعجوبة التى سيحققها «دالى» هذا النهار.. وكيف يستطيع الآخرون أن يحتملوا حياتهم بغير أن يكونوا سلفادور دالى؟!
- مات رجل فى المكسيك عن عمر يناهز المائة والخمسين عاما تاركا وراءه «يتيما» عمره فوق المائة! أود أن أعيش أطول من هذا الرجل، وأعتقد أن العلم قدر بمشيئة الله بالطبع على إطالة عمر الإنسان إلى هذا الحد.

وقد رحل سلفادور دالى عن عالمنا عام ١٩٨٩م عن عمر يناهز ٨٤ عاما!.

ويستمر [دالى] فى يومياته فيقول:

- سمعت ثلاثة أشخاص يتحدثون عن غوامض الكون، فقلت لهم: إنه لا شىء مما يحدث فى الكون يدهشنى فقال لى أحدهم:

تخيل أنك رفعت رأسك الآن ونحن فى منتصف الليل ورأيت الشمس تشرق على غير انتظار.. ألا يثير ذلك دهشتك؟.. إننى لو حدث لى ذلك لاعتقدت على الفور إننى قد جننت! فقلت له بهدوء: بالنسبة لى فإن الأمر يختلف.. لأنى سأعتقد لحظتها أن الشمس هى التى جُنت.

- اعتدت أن أنظر للصحف بالمقلوب.. وبدلا من أن أقرأ الأخبار فإنى أتخيلها وأراها بوضوح باصطناع بعض الحول فى عينى واليوم وأنا أمسك بالصحف بالمقلوب رأيت أشياء رائعة تتحرك، فقررت على الفور – وبإلهام رفيع من فن «دالى» الشعبى – أن أقوم بتلوين أجزاء من هذه الصحف.
- الأغبياء يريدون منى أن أتبع النصائح التى أسديها للآخرين وهذا مستحيل بالطبع لأنى مختلف تماما عنهم!
- جاء شاب يطلب نصيحتى قبل سفره إلى أمريكا، فنزلت لمقابلته بالزى الرسمى – أى بملابس الفضاء – وسألته عن طموحه.. فأجابنى أنه يستطيع تحمل الحياة بأقل قدر من التكاليف وأن يعيش على الفاصوليا والخبز الجاف . فقلت له: لكى تحقق النجاح وتأكل الكافيار يجب أن تكون شخصية مختلفة عن تلك التى جئتنى بها.. فها هى أظافرك قذرة فى حين ارتديت لمقابلتك زيا رسميا.. وقميصك الذى ترتديه لونه كلون السبانخ، وهذا هو بالضبط اللون الذى يميز الفاشلين من الناجحين مثلى!
- عند الغسق عادت زوجتى جالا من العيد، وأرسلت إلى الخادمة تطلب منى أن أنظر من نافذة مرسمى لأرى غروب الشمس الذى يلون

البحر باللون البنفسجى ثم باللون الأحمر الصارخ.. فأشرت لها من النافذة أننى قد لاحظت ذلك.. ورأيت جالا فى هذا اليوم أجمل من أى يوم آخر، فركعت ثانية لأشكر الله على جمال جالا الذى يصعب على أحد غيرى أن يدرك كل أعماقه!

ومن طرائف سلفادور دالى التى يذكرها فى كتابه «يوميات عبقرى» أنه تعاقد مع شركة لإنتاج العطور على تصميم زجاجة عطر جديدة لها واختيار اسم العطر، ولكنه نسى كل ذلك.. حتى فوجئ بموعد المؤتمر الصحفى الذى سيعلن فيه عن تصميمه.. أحاط به المصورون بكاميراتهم وفلاشاتهم، وسألوه عن اسم العطر الجديد، فنظر إلى كاميرات المصورين وقال لهم: «فلاش» - أى وميض - فصرخ الصحفيون إعجابا وسألوه عن شكل زجاجة العطر الجديد.. فأخذ من أحد المصورين مصباح فلاش محروق «وبططه» قليلا بيده ثم قال لهم: هكذا ! فتعالى الإعجاب والاستحان وقبض «دالى» المبلغ المتفق عليه من الشركة ونزل العطر الجديد إلى الأسواق بهذا الاسم وبشكل فلاش الكاميرا!

إنها يوميات عبقرى!!.

■■■

كتاب: شعر وشعراء

تأليف: فؤاد دوارة

لبست ثوب العيش لم أستشر
وحيرت فيه بين شتى الفكر
وسوف أنضو الثوب عنى ولم
أدرك لماذا جئت. أين المفر؟
لم يبرح الداء فؤادى العليل
ولم أنل قصدى وحان الرحيل

هذه بعض أبيات رباعيات الخيام رائعة عمر الخيام، والتى تتغنى بها أم كلثوم، وهى تعبير عن حالة ذهنية كثيرا ما تسيطر على العباقرة خلال تاريخ البشرية الطويل من أيام سقراط أبو الفلسفة، وحتى يومنا هذا، وهى تعبر عن دهشة الإنسان وتعجبه من قضية الوجود والموت وما بعد الموت.

هكذا كان عمر الخيام فيلسوفا بجانب أنه كان عالما فى الجبر، وشاعرا مُفَوّها، وخبيرا فى الأرصاد. فى كتابه «شعر وشعراء» يقدم مؤلفه الأستاذ فؤاد دوارة فصلا خاصا عن عمر الخيام تحت عنوان: «عمر الخيام بين التصوف والمجون» يعرض فيه لحياة شاعرنا العالم

الكبير وأهم ملامح فلسفته وعلمه، ولد «غياث الدين عمر أبو الفتح بن إبراهيم الخيام»، الذى اشتهر باسم عمر الخيام فى بلدة نيسابور حوالى سنة ١٠٤٠م، كان أبوه صانع خيام فاشتق اسمه من حرفته.

كان عمر الخيام يدرس فى صباه مع صديقين حميمين، تعاهد ثلاثتهم على أن من يواتيه الحظ منهم أولا يقوم برعاية زميليه. فلما واتى الحظ أحدهم و رتفع إلى منصب الوزارة فى الدولة وهو «نظام الملك الطوسى»، سعى إليه الصديقان الآخران «عمر الخيام» و «حسن الصباح»، فأكرمهما الوزير وسألهما عما يطلبان، فقال حسن الصباح: «أريد أن أهتم بأشغال الدنيا» فعينه الوزير فى منصب كبير، وظل يتقلد فى المناصب ويحيك المؤامرات كى يحقق طموحه فى المجد والسلطان، ويكفى أن نعلم أن حسن الصباح هذا كان رأس الدعوة الإسماعيلية المعروفة التى تزعمه بعد ذلك أغاخان.

أما عمر الخيام فقال للوزير: «دعانى إلى قصدك أن تيسر لى سبيل الرزق فى نيسابور فلا أفكر فى أمور الدنيا».

فخصه الوزير بمائتين وألف مثقال من الذهب تتقاضاها من بيت المال كل عام، فأمن بذلك عيشه ورزقه، وظن أنه سينعم بحياة وادعة هانئة لا يعكر صفوه فيها معكر ولا يشغل باله هم.

وما أكثر ما تحدث لمؤرخون عن عمر الخيام، ذلك العالم والشاعر والمفكر، ونسبوا إليه أروع الصفات وأعجب الروايات، فهو الذى وضع

– مع عدد من العلماء – التقويم الفارسى الذى يبدأ بعيد النيروز، وهو الذى كان يشفى أمراضا مستعصية عجز الأطباء عن علاجها، وهو الذى استطاع أن يتنبأ بأحوال الطقس لخمسة أيام مقبلة بدقة لم يعرفها علماء الأرصاد الجوية إلى اليوم، لكن الحقيقة المؤسفة أن عالمنا ذاك لم يصل إلينا من مؤلفاته العديدة إلا كتاب واحد فى الجبر ترجم فى مستهل القرن العشرين إلى اللغة الفرنسية، أما شهرته الكبيرة التى يتمتع بها فى أرجاء العالم إلى اليوم لا ترجع إلى علمه ولا إلى هذا الكتاب الصغير فى الجبر، وإنما ترجع إلى مجموعة من الأشعار العاطفية الرقيقة التى مازلنا جميعا نعجب بها، ونلجأ إليها فى ساعات صفونا أو ضيقنا نلتمس فيها شيئا من عزاء، وهل لم يسمع أحدنا سيدة الغناء العربى وهى تشدو برائعة رباعيات الخيام؟!

تنـــاثـرت أيـــــام هـذا العمـر
تنـاثـــر الأوراق حـــول الشـجر
فـانـعـم مـــن الـدنيـا بلـذاتهـا
مـن قبـل أن تسقيـك كـف القـدر
أطفئ لظـى القـلـب ببـرد الشـراب
فـإنمـا الأيـام مثـل السـحـاب
وعَـيشُـنـــا طـيـف خـيـــال
فنـل حظـك مـن قبـل فـوت الشباب

الغريب أن عمر الخيام عندما قابل صديقه الوزير «نظام الدين الطوسى» طلب منه أن ييسر له سبيل الرزق فى نيسابور حتى لا يفكر فى أمور الدنيا، ظنا منه أن هذا سيريح باله ويجعل حياته هانئة سعيدة، لكن عمر الخيام الفيلسوف المتأمل أخذ يشغل فراغ حياته فى قضية الحياة والوجود والموت وما بعد الموت، وبهذا انشغل أكثر من لو كان ينشغل بالبحث عن لقمة العيش، لأن قضية الوجود الإنسانى قضية كبيرة صعبة التفكير فيها.. شك عمر الخيام المفكر فى كل شىء فى الحياة والوجود، وكان يرى أن كل ما حوله من جمال سرعان ما يذبل ويدب فيه ويعتوره الفناء فسيطر عليه إحساس قوى بقصر الحياة، وإذا كانت الحياة قصيرة هكذا، وهو لم يستطع أن يهتدى إلى أسرار ما بعد الحياة اهتداء يطمئن إليه اطمئنانا كاملا بعقله الدائم البحث والتساؤل، أفليس من لمحتمل أن يكون القبر هو نهاية كل شىء؟! وهو المصير والمآل ولا شىء بعده، فلماذا لا يقبل إذن على الحياة يعب منها بكل قواه، يغترف من لذاتها اغترافا فى الأيام أو اللحظات التى قدر له أن يعيشها.. والخيام لا يمضى فى شكه وحيرته كثيرا وهو على هذه النفس الشاعرة الحساسة، بل كثيرا ما يعود إلى حظيرة الإيمان يستغفر عن آثامه ويرجو الله العفو عن ذنوبه فى نفحة عذبة مخلصة تصل فى كثير من الرباعيات إلى مرتبة قريبة من التصوف والحب الإلهى والفناء فى ذات الخالق، اسمعه يقول:

تقاربت يارب ما بيننا مسافة البعد على قدرها
يا عالم الأسرار علم يقين يا كاشف الضر عن البائسين
يا قابل الأعذار فئنا إلى فأقبل توبة التائبين

يقول الأستاذ فؤاد دوارة فى كتابه «شعر وشعراء»:

وحكى أن عمر الخيام كان يتأمل الإلهيات فى كتابه الشفاء لابن سينا، فلما وصل إلى فصل الواحد والكثير وضع الكتاب وقام وصلى ثم أوصى ولم يأكل ولم يشرب، فلما فرغ من صلاة العشاء سجد لله وقال فى سجوده:

اللهم إنى عَرفتك على مبلغ إمكانى فاغفرلى فإن معرفتى إياك وسيلتى إليك... ثم أسلم نَفْسَهُ الأخير.

■■■

كتاب: أحمد أمين فيلسوف الأدباء

للدكتور: محمد نبيه حجاب

أحمد أمين من أساتذة الجيل.. ترك بصمة واضحة فى الفكر والأدب والإسلاميات حتى أطلقوا عليه العلامة، كذلك شغل عدة مناصب فى القضاء والجامعة ساعدت فى شهرته وأضاف إليها هو من عنده وفكره وموافقه الجادة مع الحق الكثير مما جعل اسمه فى تاريخ الفكر العربى نجما مشرقا دائما.

وقد أصدر الدكتور محمد نبيه حجاب كتابا عن هذه الشخصية الشامخة تحت عنوان «أحمد أمين فيلسوف الأدباء» حاول فيه أن يقدم للأجيال الجديدة سيرة كفاحه وأهم مؤلفاته. ولد أحمد أمين عام ١٨٨٦م فى القاهرة من أب مثقف هو الشيخ إبراهيم الطباخ المتخرج فى الأزهر والمحب للقراءة، فكان مغرما باقتناء الكتب وتجليدها لحفظها، ومع الأيام أصبحت مكتبته تحوى أمهات الكتب فى الفقه والحديث والتفسير والتاريخ.

ومن الطبيعى أن يستفيد الفتى أحمد من مكتبة والده، ويقضى فيها الساعات الطوال، وبخاصة بعد أن شجعه والده على القراءة وقدم له أهم ما فى مكتبته من كتب مفيدة. بدأ الطفل أحمد دراسته فى مكتب الحى

ثم ألحقه والده بمدرسة الوالدة باشا «بنباقادن الابتدائية» عملا بمشورة بعض أصدقائه ليأخذ من اللغات الأوربية بنصيب، ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره غير مجرى حياته وألحقه بالأزهر ليدرس العلوم الشرعية واللغوية، وصادف أن حضر درسين للإمام محمد عبده وجدا هوى فى نفسه عزم على متابعة دروسه.. مكث أحمد أمين بالأزهر حوالى أربع سنوات، ثم اجتاز امتحان التدريس ليعمل مدرسا بطنطا، ثم انتقل إلى الإسكندرية ومكث بها عامين يعمل بالتدريس، والتقى فيها بشخصية فريدة من أبناء دار العلوم كان لها أثر كبير فى حياته العملى، وهو الأستاذ عبد الكريم محمد أستاذ اللغة العربية وكان واسع الأفق وحربا على الخرافات، يقول أحمد أمين عن هذا المربى:

«كان أبى المعلم الأول، أما الأستاذ عبد الكريم بن محمد فقد كان هو المعلم الثانى، انتقلت بفضله نقلة كبيرة، كنت خاملا فأيقظنى، وكنت عبدا للتقاليد فحررنى..».

فى سنة ١٩٠٧م فتحت مدرسة القضاء الشرعى أبوابها لتخرج قضاة شرعيين فالتحق بها أحمد أمين، كما كان يتصل فى الوقت نفسه بالجامعة الأهلية التى كانت أحيانا تستقدم بعض المستشرقين التمكنين من دراسة التراث وقد أعجب بهم وتابعهم، حصل أحمد أمين على درجة العالمية عام ١٩١١م وكان من أوائل المتخرجين، وأسند إليه أستاذه عاطف بركات تدريس مادة الأخلاق وظل على ذلك سنتين، ونقل بعدها إلى القضاء مع أنه كان يفضل التدريس، ثم أسس لجنة

التأليف والنشر والترجمة واختير رئيسا لها عام ١٩١٤م ثم قام بتأليف كتاب الأخلاق وأخذت سمعته العلمية تشق طريقها فى الوجود وتلفت إليه الأنظار، مما حدا بالدكتور طه حسين أن يعرض عليه عام ١٩٣٦م التدريس بكلية الآداب بالجامعة المصرية، ووافق على الفور لحبه بل عشقه للتدريس.. وفى سنة ١٩٣٩م انتخب عميدا للكلية، وكان عضوا بالمجمع العلمى بدمشق، والمجمع العلمى بالعراق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما رأس الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية عام ١٩٤٧م، هكذا يسرد لنا الدكتور محمد نبيه حجاب فى كتابه «أحمد أمين فيلسوف لأدباء» مشوار العلامة أحمد أمين والمناصب التى تقلدها، ثم يعرض لنا بعد ذلك أهم مؤلفاته التى ألفها بالانفراد ثم التى ألفها مع بعض زملائه، أما الكتب التى ألفها بالانفراد فأهمها:

- فَجر الإسلام: ويبحث فى الحياة الاجتماعية والعقلية للعرب فى الجاهلية وصدر الإسلام.
- ضُحى الإسلام: ويبحث فى الحياة الاجتماعية والعقلية فى العصر العباسى ويقع فى ثلاثة أجزاء.
- ظُهر الإسلام: ويبحث فى الحياة الاجتماعية والعقلية فى القرن الرابع الهجرى فى المشرق والأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى جلاء العرب عن الأندلس.
- زعماء الإسلام فى العصر الحديث: يضم هذا الكتاب بين دفتيه ترجمة شخصية لسيرة عشرة من زعماء المصلحين فى العصر الحديث هم:

محمد بن عبد الوهاب، مدحت باشا، جمال الدين الأفغانى، السيد أحمد خان، السيد أمير على، خير الدين باشا التونسى، على باشا مبارك، عبد الله النديم، السيد عبد الرحمن الكواكبى، الشيخ محمد عبده.

- الصعلكة والفتوة فى الإسلام: تعرض فيه للشعراء الصعاليك الذين كان لهم دور كبير فى إنعاش الأدب وإضافة لون جديد من الشعر إلى التراث القديم.
- هارون الرشيد: حَلّلَ فيه شخصيته تحليلا دقيقا، مشيرا إلى جمعه بين المتناقضات مثل التصوف وحب الدنيا.
- قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية: أظهر فيه الحياة الشعبية عند المصريين فى الأفراح والمآتم.
- يوم الإسلام: بين فيه أصول الإسلام وأحداثه.
- الإمام محمد عبده: أوضح فيه الدور التنويرى للإمام.
- المهدى والمهداوية: شرح فيه خرافة المهدى المنتظر.
- الأخلاق: جمع فيه خلاصة ما قام بتدريسه فى مدرسة القضاء الشرعى من حميد السجايا ومكارم الأخلاق.
- النقد الأدبى: يشرح فيه معنى النقد الأدبى والهدف من دراسته ومدى اتصاله بالفلسفة.
- فيض الخاطر: وهو مجموعة المقالات الاجتماعية والأدبية التى نشرت فى مجلتى الثقافة والرسالة.

- كتاب «إلى ولدى»: يضم ١٢ رسالة تشتمل على جملة النصائح الأبوية الغالية التى استمدها من رحلة العمر وتجارب السنين، وليست كلها موجهة إلى ولده فقط بل منها رسالة إلى والده وأخرى إلى ابنته.
- حياتى: يكتب فيه عن سيرته ومسيرته من مهده إلى رشده، ويعتبر مرجعا مهما عنه.
- الشرق والغرب: تحدث فيه عن المدينة الحديثة مالها وماعليها، وعن روحانية الشرق ومادية الغرب.
- حى بن يقظان: تحقيق مبادئ الفلسفة - ترجمة.

بالإضافة إلى الكتب التى ألفها بالانفراد اشترك المفكر والأديب أحمد أمين مع بعض زملائه فى تأليف كتب أخرى أهمها:

- قصة الفلسفة اليونانية: مع الدكتور زكى نجيب محمود.
- قصة الفلسفة الحديثة: بالاشتراك مع الدكتور ذكى نجيب محمود.
- قصة الأدب العالمى: أيضا بالاشتراك مع الدكتور ذكى نجيب محمود.
- صور إسلامية: بالاشتراك مع مصطفى صادق الرافعى.
- التربية الوطنية: بالاشتراك مع الدكتور طه حسين.
- البصائر والذخائر: تحقيق مع السيد صقر.
- الهوامل والشوامل: تحقيق بالاشتراك مع السيد صقر.
- خريدة القصر وجريدة العصر: مع الدكتور شوقى ضيف.
- المكافأة لأبى جعفر أحمد بن يوسف الكاتب: بالاشتراك مع على الجارم.

- ديوان الحماسة لأبى تمام: مع الأستاذين السيد صقر وعبد السلام هارون.
- الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى: مع أحمد زين.
- العقد الفريد لابن عبد ربه: مع أحمد الزين وإبراهيم الإبيارى.

هذا عدا الكتب المدرسية ومقدمات لكتب أخرى.

ويصف المؤلف الدكتور محمد نبيه أحمد أسلوب أحمد أمين فيقول: إنه يتسم بالسهولة فى التعبير والبساطة والإيضاح فى الأداء، وقصر همه على العناية بالأفكار وتوليد المعانى.

■■■

كتاب: لماذا أحرق التوحيدى كتبه ؟!

للدكتور: عبد الحميد الغزّى

أبو حيـان التوحيدى من أبرز أعلام الحضارة العربية الإسـلامية، وهو من كبار كتاب القرن الرابع الهجرى، العاشـر الميلادى، وهو من الفلاسـفة الذين مزجـوا بين الفلسـفة والأدب، أى عبروا عن فكرهم بلغة أدبية ولذلك لقب: بأديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء. لقبه ياقوت الحموى أديب الفلاسـفة، قال عنه المفكر العالمى آدم متز: أبو حيان التوحيدى من أعظم كتاب النثر العربى على الإطلاق.

أبو حيـان التوحيدى هو على بن محمد بـن عباس أبو حيان، وقد اختلف المؤرخون فى مسـقط رأسه، فقيل إنه ولد فى شيراز، وقيل فى فى واسط، وقيل فى بغداد، ولقب بالتوحيدى، لأن أباه محمدا كان يبيع فى بغداد نوعا من التمر (البلح) اسـمه (التوحيد) فنسب الابن إلى لفظ يتصل بحرفة أبيه، وهناك من يرى أنه هو الذى نسـب إلى نفسه لقب التوحيد، فعرف بالتوحيدى، وقال شـيخ الإسـلام ابن حجر: يحتمل أن يكون قد نُسـب إلى التوحيد الذى هو الدين، فإن المعتزلة يسـمون أنفسـهم أهل العدل والتوحيد. وقد اسـتخلص عبد الرازق محى الدين نصوصا تنفى عنه الانحياز إلى الاعتزال، وتثبت عكس ذلك تماما.

هـذا بالإضافة إلى أن المعلومات الواردة فى الليلة الثامنة من ليالى كتاب أبى حيان التوحيدى: «الإمتاع والمؤانسـة»، تثبت كرهه لهؤلاء

الذيـن آمنوا بعلم الكلام، وسُـمّوا بالمعتزلة.. وينفى الدكتور يوسـف زيدان أن يكون التوحيدى متصوفا وشيخا للصوفية، وإن افتقر وتقشّف.

هنـاك آراء مختلفـة حول أصـل أبو حيـان التوحيـدى وبعضها متناقضة: أهو عربى أم فارسـى، شـيرازى أم نيسـابورى؟ واسطى أم عراقى؟ يقول محمد كُرد على: هو عربى، وكان يعرف الفارسـية، ولو ولد فى فارس لكان يتكلم بها.

وحول ثقافته، ينقل ابن حجر العسـقلانى عـن ابن النجار قوله: كان أبـو حيان فاضلا لغويا شـاعرا له مصنفات حسـنة، وكان فقيرا، صابرا، متدينا، حسن العقيدة. وساعده عمره الطويل على كثرة الاطلاع والتأليـف فى موضوعات شـتى، ولا سـيما فى حياة كلها تشـرد كان يحياهـا، مكنته من التأليف والتدوين والكتابة والقراءة، مما أكسـبه إثارة ومتعة وطرافة. كان أمينا فى النقل، حاد الذكاء، حاضر البديهة، موسـوعى المعرفة، متعدد المواهب، غزير الإنتاج الأدبى والتأليف، وقـد عَدَّ ياقوت الحموى لأبى حيان سـبعة عشـر كتابـا، فى حين عَدَّ السـيوطى من كتبه تسعة كتب، وأثار ابن خلكان إلى خمسة، والذهبى إلى أربعة فقط.

من مؤلفات ابن حيان التوحيدى:

أخلاق الوزيرين.. ، الإمتاع والمؤانسـة..، رسـائل أبى حيان..، رسالة الصداقة والصديق..، الإشارات الإلهية.. ، البصائر والذخائر..،

المقايسات..، الهوامل والشوامل..، الرسالة البغدادية.. هذا إضافة إلى مؤلفات ورسائل لم تصلنا، أو ربما وصلت ولم تطبع مثل: رسالة الصوفية، تقريظ الجاحظ..، رسالة العارفين..، رياض العارفين..، الزلفة المحاضرات و'لمناظرات..، رسالة فى الحنين إلى الأوطان..، الرد على ابن جنّى فى شرح المتنبى وقد أبدى التوحيدى إعجابا شديدا بالجاحظ، وفى رسالته: (تقريظ الجاحظ) قال عنه: الجاحظ واحد فى الدنيا..

ولم يقف إعجابه به عند حد التجربة والمواهب العقلية، بل تعداه إلى أسلوبه الكتابى، حتى كتب صورة عن الطريقة الجاحظية الموصوفة بالفوضى وعدم الترتيب والتبويب والتنسيق، تلك التى عد الجاحظ مسئولا عنها.

وسر عظمة التوحيدى لا تكمن فقط فى فنه النثرى، ودعوته إلى ما يسمى بـ (السهل الممتنع) فى الكتابة، كما أشار إلى ذلك فى الليلة الخامسة والعشرين من ليالى (الإمتاع والمؤانسة) وإنما أمور أخرى، لخصها الدكتور محمود إبراهيم، فيما يلى:

أولا: ترك لنا شيئا تكمن الإفادة منه فى وقتنا الحاضر، وأهمه مصطلحات علوم عصره المتنوعة.

ثانيا: كان ملما بعلوم عصره كلها إلا أن إلمامه يكاد يكون إلماما متخصصا، حتى إنه يعد شاهدا على القرن الرابع الهجرى، التاسع الميلادى من الزاوية العلمية والفلسفية.

ثالثا: ابتكر ألفاظا فى موضوعات شتى قد تفيدنا فى الوقت الحاضر.

رابعا: إن قدرته اللغوية الفذة، استطاعت التعبير عن أدق المعارف فى زمانــه، وأصعب المواقف التى يتعرض لها الرجل العادى والرجل العالم.

على الرغم من أن أبو حيان التوحيدى أمضى حياته متعلما ومعلمًا، فإنه عاش معظم ســنى حياته فى بغداد بائســا فقيرا نافرا من الوجهاء وأرباب النقود، شــاكيا من ســوء حالــه وقلة الأعوان وانقطاع أســباب الحياة العالية والســعيدة التى يطمح أن ينالها مع علو شــأنه فى العلوم والأدب والفلسفة.

وهذا ما ذكره صراحة عن فقره، بل زادت حالته سوءا عندما نهبت داره فى ثورة العامة فى بغداد ســنة ٣٦٣ هـ فخســر كل ما جمعه فى شــبابه، لدرجة أنه بات يشــكو ويتذمر، بل اتسمت روحه بسوداوية غريبة، أشــعلت فى نفسه صراعا انقلب إلى احتقار فى كتاباته للعامة من الناس، لأنه يفوقهم طموحا، ولأنه يرى فيهم المهانة والفقر، ولم يجد فى عصره من يستحق قراءة كتبه من الناس.

وتجيب مجلة الضاد التى تنشر فى مدينة حلب السورية على سؤال يفرض نفسه على كل قارئ ومضطلع على حياة أبو حيان التوحيدى فى عددها الرابع نيســان ٢٠١٢ هذا السؤال هو: لماذا جمع كتبه وأحرقها فى لحظة يأس قاتلة؟

أما إجابة السؤال المحير حقا فهمى:

لـم يجد أبو حيان التوحيدى فى عصره من يسـتحق قراءة كتبه من النـاس، فجمعها وأحرقها انتقامـا لذاته من القدر والناس، وخوفا من أن يعبث بها ويسـىء إلـى صاحبها من لايعرفـون قدرها.. حول هذه الحادثـة يقول السـيوطى فى كتابه «بغية الوعاة فـى طبقات اللغويين والنحـاة»: إن الأيام قد انقلبت بأبى حيان وإن كتبه لم تنفعه وضنَّ بها على من لايعرف قدرها، فجمعها وأحرقها، فلم يسلم منها غير مانُقل قبل الإحراق.

■■■

كتاب: أبو القاسم الشابى شاعر الحب والثورة

تأليف: رجاء النقاش

أبو القاسم الشابى أحد أبرز شعراء عصر النهضة، الذين تغنوا بإرادة الشعب، ودعوا إلى يقظة العرب من كبوتهم التاريخية، من هنا صدرت كتب كثيرة عن هذا الشاعر التونسى الكبير، منها كتاب «أبو القاسم الشابى شاعر الحب والثورة» تأليف الكاتب الكبير رجاء النقاش والذى نعرض له فى هذا اللقاء.

ولد أبو القاسم الشابى فى مجتمع كان يحتاج إلى الفنان ليوقظه من ركود الإحساس والشعور، وكان يحتاج إلى الثائر ليقوده فى معركة سياسية واجتماعية حاسمة ضد سيطرة الاستعمار الغربى، وضد سيطرة الحكم الداخلى الفاسد الذى قضى مئات السنوات فى استغلال الشعب بصورة أليمة، وكان هذا المجتمع يحتاج إلى من يعالجه بصبر وحب كاملين.. ولقد كان أبو القاسم الشابى إلى حد بعيد شخصا يحمل كل الصفات والمواهب المناسبة التى تجعل منه عنصرا قويا للتأثير فى هذا المجتمع.. كان شاعرا موهوبا غنى الإحساس، وكان إلى جانب ذلك ذا طبع إنسانى ممتاز.. إنه مولود وفى قلبه مشاعر طيبة وعلى

فمه ابتسامة مشرقة.. الكلمات التى نطقها طيلة خمسة وعشرين عاما هى كل عمره، كانت كلها كلمات محب عاشق للإنسان والحياة، وقد قاده هذا العشق إلى الارتباط الصادق بأحزان بلاده ومشاكلها والتعبير عنها، وسرعان ما اجتمعا الفن والثورة فى شخصيته الصادقة مما ترك أثره القوى على وطنه الصغير: تونس، ووطنه الكبير: الوطن العربى.

يقول رجاء النقاش عن حياة أبى القاسم الشابى منذ بدايتها: كانت حياته عادية بسيطة فى البداية، وليس فيها عقبات أو عوائق تقف فى طريق موهبة الشاعر بل على العكس كانت بيئة مناسبة.. والده هو الشيخ محمد بن أبى القاسم، وكان رجلا متعلما متدينا يعمل قاضيا شرعيا، وقد خلق من بيته بيئة علمية تدور فيها المناقشات الفكرية والدينية والأدبية، فى هذه البيئة تفتح وعى الشاعر على الحياة لأول مرة. ولم تحدث للشاعر فى حياته العائلية حوادث أخرى ذات أهمية وتأثير حتى مات والده عام ١٩٢٩م وكان أبو القاسم حينذاك فى العشرين من عمره، وكانت وفاة الوالد صدمة كبيرة بالنسبة للشاعر، لأنها دفعته إلى أن يواجه مسئوليات مادية عديدة وهو فى هذه المرحلة المبكرة من عمره.. لقد وضعته هذه الصدمة وجها لوجه مع الحياة فى تجاربها العملية الواقعية، والشاعر نفسه يذكر تأثير الحادثة فى شعره، ففى قصيدته «قيود الأحلام» يعبر الشاعر عن مسئولياته وتعبه قائلا:

وأود أن أحيـا بفكـرة شـاعـر فأرى الوجود يضيق عن أحلامى
إلا إذا قطعت أسبـابـى مـع الـ دنيا وعشت لوحدتـى وظـلامـى

لكننى لا أستطيع، فإن لى أما يصد حنانها أوهامى
وصغار إخوان يرون سلامهم فى الكائنات معلقا بسلامى
فقدوا الأب الحانى فكنت لضعفهم كهفا يصد غوائل الأيام
هجمت بى الدنيا على أهوالها وخضمها الرحب العميق الطامى
فتحطمت نفسى على شطآنه وتأججت فى جوه آلامى

لم تكن هذه المأساة الخاصة فى حياة أبى القاسم الشابى هى مجرد احتمال مسئوليات أسرة كبيرة، فلقد كان قادرا على ذلك وبخاصة أنه بدأ يلمع فى تونس والوطن العربى كله وهو فى الثانية والعشرين من عمره، لكن مأساة الشابى الخاصة تجسدت فى عامل آخر هو مرضه المبكر بالتضخم فى القلب والذى قضى عليه.وهو فى الخامسة والعشرين من عمره. وبالإضافة إلى هذا وذاك كان يتألم ويتوجع من الاستعمار الذى يحتل بلاده ويعود بها إلى الوراء ويتسبب فى تخلفها وتأخرها عن ركب الحضارة، كما كان يتألم أيضا للتقليديين من شعراء بلاده، وأخذ هو جانب المجددين المتحررين، وانضم إلى جمعية «قدماء الصادقية» وألقى فيها محاضرته الشهيرة عن الخيال الشعرى عند العرب.. كان لابد لشاعر يقدس فكرة الواجب ويدرك مسئوليته العميقة نحو الآخرين أن ينضم إلى أى جماعة ثائرة تهدف إلى تغيير ظروف المجتمع وعقليته، فقد كان شاعرا حزينا تمتد جذور أحزانه إلى واقع المجتمع، لم يكن من ذوى الأمزجة السوداوية التى تميل إلى التشاؤم لمجرد التشاؤم، بل على العكس كان من الأمزجة المحبة

للحياة، المؤمنة بقيمتها وقدسيتها، والتى تدرك الجمال الموجود فى الطبيعة وتفهمه وتتذوقه، لكن الشابى كان يجد كل المعانى الجميلة فى الحياة ضائعة مبددة أمام القوى القبيحة المتخلفة.. ومن هنا كان فنانا ثائرا حزينا معا.. كان يكتم آلامه فى نفسه ليعبر عنها فى شعره، فهو واحد من هؤلاء الذين يبتسمون وهم فى أشد لحظات المحنة، ذلك لأنهم يرتفعون بالإنسان إلى مستواه الرفيع: ضبط النفس ومقاومة الحزن واحتمال العذ ب، ومن هنا كانت أشعاره تعبر عن كل آلامه وآماله الشخصية والوطنية، فى قصيدته «صلوات فى هيكل الحب» يقول الشاعر:

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام ... كاللحن، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك، كالليلة القمراء ... كالورد، كابتسام الوليد
أنت ما أنت؟ أنت رسم جميل ... عبقرى من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وسحر ... وجمال مقدس معبود

■■■

يعبر أبو القاسم الشابى عن تحديه للأعداء على اختلافهم فيقول فى قصيدته «نشيد الجبار»:

سأعيش رغم الداء والأعداء ... كالنسر فوق القمة الشماء
أرنو إلى الشمس المضيئة، وهازئا ... بالسحب والأمطار والأنواء
لا أرمق الظل الكئيب ولا أرى ... ما فى قرار الهوة السوداء

وأسيـر فـى دنيـا المشاعر حالما غـردا وتلـك سعـــادة الشعـــراء

■■■

فى مجال الوطنية تضمن ديـوان أبى القاسم الشابى الوحيد «أغانى الحياة» أكثر من قصيدة، ربما كان أشهرها قصيدة «إرادة الحياة» التى يحفظها الكثيرون يقول فيها:

إذا الشعـبُ يوما أراد الحياة فـلا بـدّ أن يستجيـب القـدر
ولابـد للـيـل أن ينجلـى ولابـد أن للقيـد أن ينكسـر
ومـن لم يعانقه شوقُ الحياة تبخَـرَ فـى جـوّهـا واندثر
فويل لمن لـم تَشقُهُ الحيـاة مـن صفعـة العدَم المنتصر
كذلك قالـت لـىَ الكـائناتُ وحدّثنـى رُوحُهـا المستتر

■■■

كان الشعر وسيلة شاعرنا أبو القاسم الشابى فى التعبير عن خلجاته وحياته وعنه قال فى قصيدة «يا شعر»:

يـا شعـر أنـت جمـال أضواء الغروب الساحرة
يا همس أمـواج المسـاء، الباسمـات الحـائرة
يا نـاى أحلامـى الحبيبـة ! يا رفيـق صبابتى
لـولاك مـت بلوعتـى، وبشقـوتـى وكـآبـتـى
فيـك انطـوت نفسى، وفيك نفخت كل مشاعرى
فاصدح على قمـم الحيـاة بلوعتـى، ياطـائـرى

■■■

يقول رجاء النقاش فى كتابه: كانت طبيعة الشابى متواضعة، محبة للواجب مقدرة للمسئولية فى الحياة الخاصة والعامة، فهو فنان ليس مشغولا بنفسه، ولا لاهيا بمجده الشخصى وأحداث حياته الذاتية، وهذا هو الموقف الذى يضع الفنان الموهوب فى المكان نفسه الذى تضع فيه الإنسانية كل أصحاب الرسالات، وهؤلاء الذين أذابوا حياتهم من أجل فكرة أو مبدأ يتصلان بالآخرين قبل أن يتصلا بالمصحلة الذاتية والوجود الخاص.

■■■

على أدهم عاشق الفكر والأدب

كتاب تذكارى فى مئوية المفكر والأديب على أدهم

هو واحد من عمالقة الأدب والفكر والنقد لجيل الرواد: طه حسين، عباس محمود العقاد، سلامة موسى، عبد القادر المازنى، محمد حسين هيكل، وغيرهم. على يديه ومن خلال أفكاره وكتاباته الصحفية وكتبه العديدة الفنية بالأدب والعلم تتلمذ جيل الأساتذة، ومع أستاذيته وثرائه الفكرى كان متواضعا عزوفا عن الشهرة، يشعر بلذة ونشوة فى الكتابة والعمل وحسب، ومن هنا لم يصل إلى الشهرة التى تتواكب وتتناسب مع مكانته الأدبية والفكرية وقامته الكبيرة.. إنه الأديب والمفكر الأستاذ على أدهم.

ولد على أدهم فى الإسكندية ١٩ يونيو ١٨٩٧م، حصل على شهادة البكالوريا - الثانوية العامة - من المدرسة الخديوية بالقاهرة، عمل مديرا لمكتب وكيل وزارة المعارف سنة ١٩٥٠م، ثم بإدارة الثقافة بالوزارة ١٩٥٧م، ولم يشغله عمله الرسمى عن الثقافة والقراءة والاطلاع على عيون الأدب والفكر العالمى، فقد كان يتقن اللغة الإنجليزية، ثم تعلم اللغة الفرنسية وغيرها، هذا بالإضافة إلى اطلاعه على الأدب العربى بشتى فنونه وأشكاله، وإلمامه الدقيق بالتراث العربى

والإسلامى والتاريخ والأدب واللغة، وقرأ مؤلفات شوبنهاور، شيللر، متزين، دستوفكى، وتولستوى، بلزلك، موباسان، إرنست رينان، ويلز وغيرهم.

كان على أدهم يقرأ قراءة ناقدة واعية، ومن ثم كان موسوعى الثقافة، يشعر بلذة كبيرة فى المعرفة ورغبة يومية فى زيادتها، وهو عصامى - مثل العقاد وسلامة موسى - لم يعتمد فى ثقافته على معهد علمى أتاح له تعليما منتظما أو منحه لقبا علميا، ولكنه علم نفسه بنفسه وشق طريقه بين الصخور والأشواك، والتزم فى ذلك كما يقول الدكتور عبد العزيز الدسوقى - منهجا صارما قاسيا يصل من خلاله علما غزيرا، وفكرا متنوعا، وثقافة واسعة حتى صار قمة من أكبر قممنا الثقافية.

وامتاز على أدهم على هؤلاء العصاميين - الذين كونوا أنفسهم - بميزة مهمة كانت يمكن أن تدفع به إلى دنيا الخمول ومجاهل النسيان، وهى اجتنابه الحياة السياسية وصراع الأحزاب وتنافس الزعامات، فتألقه بين أبناء جيله، دون استناد إلى لقب علمى أو إشارة حزبية، أو اعتماد على جاه عائلى، أمر يؤكد أن الإنسان يمكن من خلال مواهبه الذاتية وكده وكفاحه فى تحصيل العلم والثقافة والفكر، أن يتربع على عرش الفكر والأدب والثقافة.

بدأ على أدهم حياته الأدبية والفكرية بالكتابة فى مجلات: «السياسة، البيان. المقتطف. الرجاء. السفور. الرواية. الآداب. العربى. الهلال. تراث الإنسانية» ولعل ذكر أسماء وعدد هذه المجلات

يوضح لنا مدى قدرة الكاتب على التنوع والكتابة المستمرة وعشقه للفكر، واشتهر بأسلوب واضح دقيق عربى رصين شجع الجميع على القراءة والمعرفة، واهتم بنقل الأدب والفكر الأوربى إلى العربية حتى تعم الفائدة، كما واهتم أيضا بالتراث الفكرى والتاريخى والإسلامى والعربى يستجليه ليخرج إبداعاته للقارئ، وهو فى كل هذا كان يستمتع بما يكتب ويستطيع بصدقه وحسه المرهف أن ينقل هذه المتعة للقارئ. قدم على أدهم للمكتبة العربية حوالى ثلاثين كتابا فى الترجمة والتراجم والتاريخ والنقد، وكان موضوعيا صادقا فى نقده، محللا نفسيا عميقا فى تراجمه، مستخدما النظريات الحديثة لإدلر ويونج فى كتاباته وبذلك حول أحداث التاريخ ووقائعه وشخصياته إلى مادة أدبية خصبة دون أن يجور على وقائع التاريخ وأحداثه.

من كتبه المعروفة «تلاقى الأكفاء» وفيه يوضح لنا الصداقة التى كانت بين «جوته» و «شيلر» وبين «تولستوى» و «أبو العلاء» وبين «نابليون» و «تاليران» و «ابن خلدون» و «تيمورلنك» وغير ذلك من تلاقى الشخصيات التاريخية والأدبية اللامعة وفى كتابه: «بعض مؤرخى الإسلام» تناول نشأة التاريخ عند المسلمين وتحدث عن الحضارة الإسلامية وقدم لنا أعلامها «الطبرى»، «المسعودى»، «ابن عبد ربه»، «أبو حيان التوحيدى»، «الإمام ابن حزم»، «ياقوت الحموى» وغيرهم، وفى كتابه «محاورات رينان الفلسفية» كتب عن حياة إرنت رينان «١٨٢٣م - ١٩٢٩م» وهو أحد كبار المفكرين الفرنسين القلائل

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر.. من أكبر إسهامات على أدهم الفكرية ما كتبه عن رواية الحرب والسلام لتولستوى والفكرة الفلسفية التى وراءها.. فى كتابه «على هامش الأدب والنقد»، يقدم لنا شخصيات أبو الخيب المتنبى، وأبى تمام، شوبنهاور، رابندرانات تاجور وغيرهم فى صورهم الإنسانية الحقيقية البعيدة عن مواهبهم وشهرتهم.. من كتبه أيضا: «بين الفلسفة والأدب» و «نظرات فى الحياة والمجتمع»، «لماذا يشقى الإنسان؟»، «المذاهب السياسية المعاصرة»، «الهند والغرب»«صقر قريش»، «الجمعية السرية»، « الاشتراكية و الشيوعية» وفى هذا الكتاب تنبأ بسقوط الشيوعية وفشل نظامها وهو ما حدث فعلا مع بداية التسعينيات.. مؤلفاته أيضا: عبدالرحمن الناصر، منصور الأندلسى، المعتمد بن عباد ومتزيبتى.

كان على أدهم موضع تقدير من زملائه الأدباء والمفكرين المعاصرين له مثل عباس محمود العقاد، الدكتور طه حسين، الدكتور زكى نجيب محمود، وإبراهيم المصرى، وقد علقوا على كتبه وتناولوها بالنقد والتقدير، لكنه كان متواضعا للغاية، لايسعى إلى شهرة أو مجد زائف، بل كان يهتم ويستمتع بما يكتب، كذلك كان عفيف النفس يتحلى بالقيم الأخلاقية والمثل العليا، يحكى لنا الخبير السياحى الأستاذ محمد صديق لهيطة أنه بعد قيام ثورة ١٩٥٢م طلب منه أحد كبار المسئولين فى الدولة أن يوافيه بتقارير دورية عن الموظفين التابعين لإشرافه، ورفض على أدهم رفضا باتا أن يقوم بهذا العمل

قائلا: هذه ليست طبيعتى ولن أسمح لنفسى بالقيام بمثل هذا العمل.. وهذا موقف يحسب لكاتبنا لأن الإنسان والكاتب بالذات موقف ورأى، كلما كان له رأى واضح وتمسك به، كلما زادت مكانته بين جمهوره.

عن حياته الخاصة تقول ابنته الخبيرة السياحية آمال أدهم لهيطة، والتى تشارك فى مشروعات اجتماعية عديدة بالجهود الذاتية:

كان والدى على الرغم من انشغاله بالقراءة والكتابة محبا للحياة العائلية، فهو فى الصباح فى عمله فى وزارة المعارف وبعد الظهر مخصص للقراءة والكتابة الجادة، والإشراف على مذاكرة الأولاد، أما يوم الجمعة فهو اليوم الوحيد المخصص للخروج مع الأسرة، ومقابلة الأصدقاء من رجال الأدب والعلوم والثقافة والفن، وكانت ذاكرته حتى بعد سن الثمانين قوية فإذا ذكر اسم أمامه استعرض تاريخه وكل ما يتعلق به بالتفصيل، وإذا ما ذكر موضوع فى كتاب من العشرة آلاف كتاب الموجودة بمكتبته قام على الفور بإخراج الكتاب وفتح الصفحة المطلوبة فى ثوان، كان يحفظ مئات الأبيات لشعراء الجاهلية والمعاصرين، كانت كل أمور حياته مرتبة بشكل ملفت للنظر، فكل مستنداته المهمة وغير المهمة فى مكانها لتستخرج وقت اللزوم، أما كتبه وأوراقه وكتاباته فموضوعة فى أماكن معينة ولا يسمح لأحد بالتغيير أو التبديل ، ولعل حب والدى للنظام قد انعكس على فكره وإنتاجه الأدبى.

يقول الدكتور يوسف نوفل: امتاز على أدهم بسعة اطلاعه وغزارة معارفه، ومواكبته تطور الفكر والتفكير فى عصره وانعكس هذا على

مؤلفاته، ومن السمات التى امتاز بها أيضا حرصه على تحقيق صفة المرجعية فى مقالاته، حيث يذكر فى نهاية مقاله: «التمرد على العقل»: أهم المصادر التى رجعت إليها عند كتابة هذا المقال هى: كتابات برتراند راسل، رينيه ملر، ليوناردولف.

تقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد: إن الأستاذ على أدهم يذكرنا مرة أخرى بشوبنهاور الذى لم تكن كتبه تدر عليه شيئا حتى لقد ذهب بعد مدة طويلة إلى ناشر كتابه «الدنيا فكرة وإرادة» فقال له الناشر.. لقد بعت كتابك للبقالين بعد طول كساد..!

رحل الأديب المفكر على أدهم عن عالمنا فى أوائل عام ١٩٨١م بعد أن ترك للمكتبة العربية مجموعة من الكتب بمثابة موسوعة ضخمة لتيارات الفكر العالمى المعاصر وشخصيات تركت بصمة فى الحياة الأدبية والعلمية.

كاتب هذه السطور يتمنى أن تطبع كتب على أدهم مرة ثانية، طبعات شعبية رخيصة الثمن حتى تستفيد منها الأجيال الجديدة.

■■■

كتاب: ابن رشد فيلسوفا عربيا بروح غربية

للدكتور: عاطف العراقى

الفيلسوف العربى ابن رشد هو عميد الفلسفة والتنوير فى أمتنا العربية من مشرقها إلى مغربها..

هكذا يبدأ الأستاذ الدكتور عاطف العراقى المفكر المصرى الراحل صفات كتابه: «ابن رشد فيلسوفا عربيا بروح غربية». يحدثنا المؤلف فى هذا الكتاب عن الحياة الفكرية للفيلسوف ابن رشد ومنهجه النقدى، ولقاء الفعل العربى بالفكر الغربى، تم مزج الفكر العربى بالفكر الأرسطى الغربى، والإنسان فى الفلسفة الرشدية.

دعانا ابن رشد إلى جعل العقل الدليل والمرشد. إنه يقف عن طريق حسه النقدى على قمة عصر الفلسفة العربية، حيث انقطع بوفاته وجود فلاسفة عرب منذ ثمانية قرون. وكان عالما وطبيبا، بالإضافة إلى كونه فيلسوفا، ورأى أن الواجب يقتضى الكشف عن أخطاء الذين ذهبوا إلى القول بعدم وجود علاقات ضرورية بين الأسباب والمسببات.

وكان يؤمن بأن البرهان العقلى يعد أسمى صور الأدلة، ومن هنا نجده يتجه بكل قوته نحو نقد الأدلة الخطابية التى يلجأ إليها العامة وأنصاف المثقفين.

يقول الفيلسوف ابن رشد: «فلنبحث عن كتب القدماء ونقوم بدراستها..» أليست هذه دعوة تراثية مشرقة وضاءة تقوم على الإيمان بالتنوير والاعتقاد بأهميته الكبرى وأنه لا حياة لنا دونه وينبغى علينا الانفتاح بكل قوة على كل الثقافات الأخرى؟!

بيّن لنا هذا الفيلسوف الكبير من خلال اهتماماته العلمية، والطب منها على وجه الخصوص، أن العلم يعد معَبّرا عن القوة، قوة الشعوب، قوة التقدم، وأن الجهل على العكس من ذلك يعد مُعبّرا عن التخلف والظلام. وواجب علينا الاستفادة من هذه الدعوة.

دعانا ابن رشد إلى أن نلجأ إلى التأويل العقلى، وقال إن كل ظاهر من النص، إنما يقبل التأويل على قانون التأويل العربى، وإن هذا الرأى يجب أن يتمسك به كل مؤمن وكل عاقل.

يقول مؤلف الكتاب الدكتور عاطف العراقى أستاذ الفلسفة الأسبق بجامعة القاهرة: "قام ابن رشد دراسته لمشكلة المعرفة، على أساس الإيمان بالعقل أساسا، وأن التمييز بين الخير والشر، إنما يقوم على العقل وحده، كذلك درس مشكلة حرية الإرادة على أساس برهانى عقلانى، ولم يؤسس رأيه على أساس خطابى إنشائى..

ومن المؤسف أننا نبحث اليوم عن حلول كثيرة لمشكلاتنا المتعاظمة فى الوقت الذى قدم لنا فيه ابن رشد منذ ثمانية قرون، المفتاح أو المنهج الذى يساعدنا على حل هذه المشكلات..

ويضيف الدكتور عاطف العراقى معلقا: لقد تسخرنا من ابن رشد حين أخذنا نتحدث عن قضايا وهمية زائفة كقضية الغزو الثقافى،

الهجوم على الحضارة الأوربية.. نعم تسخرنا وأهملنا دعوة فيلسوفنا
ذى فتح الطريق أمام الفكر العلمى العقلانى، والذى نحن فى أمس
حاجة إليه الآن..

إن عالمنا العربى اليوم يعيش بين أمرين لا ثالث لهما: إما
لاحتكام إلى العقل وجعله الدليل والرائد. وإما اللجوء إلى اللا معقول
الخرافة، ولابد لنا من اختيار الأمر الأول، والطريق الصحيح وهو
ريق العقل والتنوير، وأن أوربا تقدمت لأنها اتخذت ابن رشد نموذجا
اجحا لحياتها، وقامت فى أوربا حركة رشدية قوية، أما نحن العرب
قد أصابنا التأخر لأننا ابتعدنا عن آراء فيلسوفنا ابن رشد وارتمينا فى
حضان الفكر السلفى التقليدى.

فلنحتفل إذن بأفكار أعظم فلاسفتنا ابن رشد، حتى نضع فى
عتبارنا أن واجبنا المقدس هو الدفاع عن التنوير، والتمسك بالعقل،
غرس الروح النقدية.

وإذا كان من حقنا أن نفخر بفيلسوفنا العربى ابن رشد الذى قضى
حياته مدافعا عن الفكر وأهله والعقل وأصحابه، فمن واجبنا إذن أن نعمل
لى الاستفادة من الدروس التى تركها لنا من خلال مؤلفاته ومنها:

كتاب «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال»،
كتاب «مناهج الأدلة فى عقائد الملة»، وكتاب «تهافت التهافت»
ذى نقد فيه آراء الغزالى.. وقام أيضا بشرح كتب لفيلسوف اليونانى
أرسطو» حتى أطلق عليه المستشرقون لقب الشارح الأعظم، وكأنه يريد

بهذا الشرح أن يبين لنا أن الثقافة المحلية وحدها تعد تعبيرا عن الطريق المظلم والعدم، ألم يقل ابن سينا فى مناجاته لله تعالى: فالق ظلمة العدم بنور الوجود، إن هذا يعنى ارتباط العدم بالظلام وارتباط الوجود بالنور، ومن المنطقى أن نطلب من المتأخر أن يسعى بكل قوته لكى يلحق بالمتقدم ومن غير المنطقى أن نطلب من المتقدم أن يقف فى مكانه ثابتا حتى يلحق به المتأخر إنها سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

لقد ترك لنا ابن رشد ذخيرة، قَلّ أن يجود الزمان بمثلها واجبنا الاستفادة منها، لكن بإخفاء العديد من التأويلات والظلال والألوان حولها.

والمبدأ الذى يجب أن نتمسك به إنما يقوم على التنوير أولا وأخيرا، ففى ظل التنوير والانفتاح على كل ثقافات البشر، نستطيع حل العديد من القضايا، ونستطيع الالتحام مع القرن الجديد، وبإمكاننا عن طريقه أن نجد فكرا مبدعا قد يؤدى بنا – مستقبلا – إلى وجود أكثر من فيلسوف عربى.

إن الحديث عن عوامل تدعيم الإبداع والمشكلات التى تواجه الإبداع يرتبط ارتباطا مباشرا بمشكلة التنوير وقضاياه، ودليلنا على ذلك أن العوامل التى تؤدى إلى عرقلة الإبداع إذا كانت توجد بكثرة فى الدول النامية بوجه عام، وهى الدول التى لا نجد فيها تنويرا مطلقا فإنها لا توجد بالدرجة نفسها فى الدول الأوربية المتقدمة.

والعوامل التى تؤدى إلى عرقلة التنوير توجد فى مجالات كثيرة من ينها التعليم والثقافة والعلم والتكنولوجيا.. إننا فى عصر الكمبيوتر صر ثورة المعلومات فهل من المعقول أن نتحدث عن ظاهرة الغزو فكرى، وذلك فى الوقت الذى أصبح العالم فيه قرية واحدة صغيرة.

ويؤكد الأستاذ الدكتور عاطف العراقى على ضرورة الانفتاح فيقول:

أعتقد إذا قلنا بما يسمى الغزو الفكرى أو الثقافى، فإن معنى ذلك نا سنقضى تماما على أى أمل فى التقدم نحو الإبداع، فالتنوير لا يمكن ن يتحقق إلا فى جو الحرية والانفتاح على الآخرين فى دول العالم من شرقه إلى مغربه.

الإبداع يرتبط ارتباطا مباشرا بالسعى نحو التنوير وهذا الارتباط جعلنا نقول بأن عوامل عرقلة الإبداع فى العديد من المجالات، إن لم كن كلها إنما هى عوامل عرقلة التنوير نفسها إلى حد كبير جدا .. فمن وامل عرقلة التنوير، الخلط بين الدين والسياسة، ومن عوامل عرقلة لإبداع أننا ما زلنا ننظر إلى التنوير كأنه رجس من عمل الشيطان وأنه رادف للكفر والتكفير.. ومن عوامل عرقلة التنوير: الفصل بين التعليم ينى والتعليم المدنى، ويجب القضاء تماما على هذا الفصل؛ إذ كيف قول بالمجتمع الواحد، وفى الوقت نفسه نفصل بين تعليم وتعليم؟!

من عوائق التنوير أيضا أن نطالب بترجمة كتب العلوم – ومن بينها لطب – إلى اللغة الغربية، إن هذه العلوم قد تقدمت تقدما مذهلا ى أوربا فكيف – إذن – يكون بالإمكان تدريس هذه العلوم بالعربية

وكيف سيتعامل المشتغل بهذه العلوم مع الكتب التى تصدر كل يوم. وهى بلغات غير عربية؟

الواقع أن نظامنا التعليمى الحالى لن يؤدى إلى وجود قيادات تنويرية لأنه لا يضع فى اعتباره أن العالم يتغير من حولنا.

عاش الفيلسوف ابن رشد بين الأعوام ١١٢٦م وعام ١١٩٨م.. وكان خاض من المعارك الفكرية وانتهى به الحال إلى النفى والطرد لإيمانه بأن العقل هو الحل.

■■■

كتاب: أبى شوقى

تأليف: حسين شوقى

أمير

الشعراء أحمد شوقى شغل الكون وملأ العالم، وعرفته الأجيال المتعاقبة.. ومع ذلك أحب ابنه حسين أن يقربه لنا أكثر ويزيد من معرفتنا به فكتب كتابا عنه تحت عنوان: «أبى شوقى».

فى الكتاب يقدم لنا حسين شوقى لمحات عن والده تكمل صورة أمير الشعراء أحمد شوقى فى نظرنا.. وكانت طبعة الكتاب الأولى عام ١٩٤٧م أما الطبعة الثانية فأصدرتها الهيئة العامة لقصور الثقافة عام ٢٠٠٦م يبدأ حسين شوقى الحديث منذ سنة ١٩١٤م، أى ما قبل الحرب العالمية الأولى.. يقول: كنا نقطن المطرية، إحدى ضواحى القاهرة، كانت لنا هناك دار واسعة تحيط بها من كل جانب حديقة فسيحة، وقد أطلق عليها أبى اسم «كرمة بن هانئ» أى أبى نواس، لأن أبى كان معجبا بهذا الشاعر الذى لم ينل حظه من الدراسة العميقة مع الأسف، كما أن الأساطير جعلت منه شاعرا ماجنا..ولقد اختار أبى ضاحية المطرية هذه، ليكون على مقربة من «قصر القبة» حيث كان يقضى سمو المغفور له الخديو عباس حلمى معظم أوقاته فراغه.. لأنه شديد التعلق بأبى يرسل فى طلبه فى كل وقت.

يتحدث حسين ابن أمير الشعراء أحمد شوقى عن والدته فيقول إنها رقيقة طيبة، لا تتدخل فى المنازعات المنزلية، بل يرجع المؤلف نجاح حياة أمير الشعراء الأدبية إلى زوجته هذه الطيبة الرقيقة التى لم توجه إليه لوما فى حياته مرة، مع أن والده كان خليقا باللوم أحيانا! فهو كثيرا ما كان يستصحب وقت الظهيرة أصدقاء، حين عودته للمنزل، فيتغدى معهم على حين تتغدى هى وحدها أما العشاء فكان يتناوله معظم الأحايين فى الخارج.. ويصف حسين والده أحمد شوقى بأنه سريع التقلب كالمحيط، فطعام لم يهيأ كما رغب يعكر مزاجه ولكن إذا كان مزاجه معتدلا فهو لطيف غاية اللطف، يدلل الجميع ويلاطفهم، بل يرهق من حوله بالقبلات .. على أن أهم عيوب أمير الشعراء كما يراها ابنه حسين هى أنانيته الشديدة ويتساءل: ترى هل الأنانية من لوازم الشعر؟ إذ إن «شيلر» عندما يتحدث عن طبع صديقه «جوته» يقول: إنه فى الواقع أنانى إلى أقصى حدود الأنانية!

ثم يضرب لنا المؤلف أمثلة على أنانية والده أحمد شوقى فيقول:

فمن أنانية أبى أننا لم نكن نستطيع أن نتغدى فى ساعة معينة، بل كان لزاما علينا أن ننتظر إلى أن تأتى شهيته، وكثيرا ما كان يطول الانتظار، لأنه كان يصحو من نومه متأخرا فيفطر بطبيعة الحال متأخرا أيضا وسبب التأخير فى النوم أنه يراجع بعد أن يعود من سهرته ما نظم من شعر طوال النهار.. ومن ذلك – أى من عيوب أمير الشعراء أيضا – أنه عندما كنا فى أوربا وكنا نذهب إلى أحد المطاعم كان يغضب

منا، من أخى على ومنى،حين نختار الأصناف المألوفة، بل كان يجب علينا - على حسب رأيه - أن نختار أصنافا جديدة مجهولة الأسماء، كى يختار هو منها فى المرة القادمة، إذا راقته! فكانت اقتراحاته هذه تفسد علينا الأكلة، لأن تلك الأصناف المجهولة كانت «مقالب» فى معظم المرات. كان حظى منها مرة ضفدعا، وطبعا لم آكله! بل صد نفسى عن تناول أى طعام آخر.

يحدثنا حسين أحمد شوقى بعد ذلك عن رحلة الصيف إلى إسطنبول مع والده ويعرب عن إعجابه بالمدينة وبالشعب التركى ونظافته وتحضره.. كما يحدثنا عن فترة الابتعاد عن مصر فى المنفى لمدة خمس سنوات ثم العودة بعدها للقاهرة سنة ١٩١٩م يقول حسين شوقى:

أبى كان متعجلا فى السفر إلى مصر، إذ كان حنينه شديدا إليها.. ألم يقل على إثر هذه العودة:

ويـا وطنـــى لقيتـك بعد يأس كـأنى قـد لقيـت بك الشبابا

كان استقبال أبى بعد المنفى فى القاهرة حارا رائعا، إذ تجمع فى فناء المحطة آلاف الطلبة لتحيه أبى وهم يهتفون بحياته فى حماس عظيم، ثم حملوه على الأعناق حتى السيارة مما كان له أبلغ الأثر فى أبى.. وكانت الدموع تترقرق فى عينيه طوال الطريق من المحطة حتى المطرية.. ثم اختار أمير الشعراء أحمد شوقى بيتا جديدا فى الجيزة على شاطئ النيل وأطلق عليه الاسم نفسه .. كرمة بن هانئ وقد زاره فى

هذا البيت سعد باشا زغلول فى الاحتفال بزفاف ابنه «على».. كما زاره فى هذا البيت شاعر الهند الكبير «طاغور» والفنان محمد عبد الوهاب وغيرهم.

ويذكر حسين شوقى فى كتابه «أبى شوقى» هذه المعلومة:

يقول أبى إنه كان مع مصطفى كامل عندما اختار شعارا له جملته المشهورة: لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة، وكان مصطفى قد وجد الجزء الأول منها أى:

«لا حياة مع اليأس»، فأشار عليه أبى أن يضيف: «ولا يأس مع الحياة».

وكان أبى يعاون مصطفى كامل فى كفاحه الوطنى المجيد.

رحل أمير الشعراء أحمد شوقى عن عالمنا فى ١٣ أكتوبر ١٩٣٢م وكان فى الثانية والستين من عمره.

■■■

كتاب: باقات من حدائق مىَ

للدكتور: فاروق سعد

الأديبة

مَىّ زيادة من الأصوات النسائية المهمة التى انطلقت مع بداية القرن العشرين من القاهرة تنادى بالاستقلال السياسى وتحرير المرأة، وتحرير المجتمع من السلبيات والعادات والتقاليد البالية، والتخلص من الغيبيات والإيمان بالعلم، واستطاعت أن تقيم صالونا أدبيا جمع صفوة المفكرين والأدباء فى ذلك الزمان.

عن هذه الأديبة الكبيرة صدر كتاب تحت عنوان: «باقات من حدائق مَىّ» للكاتب الأستاذ فاروق سعد، يتحدث فيه عن التراث الكبير الذى خلفته لنا هذه الأديبة. يُقسم الكتاب إلى جزءين: الجزء الأول يتحدث عن مسيرة مَىّ كإنسانة وكاتبة. ويتحدث الجزء الثانى عن مقتطفات من آثار مَىّ فى مقالاتها وخطبها ومحاضراتها ومذكراتها ورسائلها وأبحاثها.

فى بداية الجزء الأول يحدثنا الكاتب عن بروز نجم أديبة من لبنان تألقت فى سماء مصر نبوغا وفكرا.. وثقافة وأدبا، قيل عنها: مَىّ زيادة أديبة سورية المولد.. مصرية النشأة.. عربية الموطن.. إنها تكتب للشرق بعقلها وللغرب مكانة فى قلبها. ومما قيل عنها أيضا: إننا نصفق لها ونثنى عليها غير أن البخور الذى أحرق لها وانتصاراتها

من سهلة وصعبة لم تحل دون الجوهر الذى ميزها، شهوة فى النفس تبحث بلا هوادة عن العمل الصبور.

لقد عاشت مى فى فلسطين ودرست فى لبنان فى مدرسة الراهبات وكتبت مذكراتها، وفيها نلمس الإحساس بالكآبة والوحشة، صحيح أن الأنثى أقرب إلى الشعور بالجانب المأسوى من الحياة، غير أن وراء هذا الشعور تحسسا بالغيب واندفاعا عفويا، نحو المأساة المتمثلة فى نكبة فلسطين حيث إن الجو الذى خلفه الصهاينة داخل فلسطين وخارجها منذ عام ١٨٨٣م أفضى إلى ظلام للنفوس والعقول، وألقى الناس فى هوة الكآبة.. لقد تأثرت الأديبة مَىّ بالمدرسة الرومانتيكية الفرنسية وصدر لها باللغة الفرنسية كتاب «أزاهير حلم» وهو مهدى إلى الشاعر «لامارتين» شاعر القلوب الحزينة، ثم ترجمت رواية فرنسية أخرى إلى العربية بعنوان «رجوع الموجة»، ورواية عن الإنجليزية هى: «الحب فى العذاب» وأخرى عن الألمانية: «ابتسامات ودموع» فى سنة ١٩١٢م.

من كتب مى التى يعرضها الكاتب فاروق سعد فى الجزء الثانى من كتابه «باقات من حدائق مىّ»: سوانح فتاة، ونغمات وإشارات، وابتسامات ودموع، وباحثة البادية، والمساواة، وظلمات وأشعة، والصحائف، وبين المد والجزر، وعائشة التيمورية وغيرها حتى بلغ عدد مؤلفاتها خمسة عشر كتابا كتبتها خلال ثلاثين عاما، وتقول عن الكتاب:

الكتاب هو الذى يرفعنا فوق الصغائر فى الحياة ويعلمنا كيف ننمى فينا شرف الأخلاق الإنسانية، والإخلاص والذكاء والإرادة والحب..

مى فى طليعة من كتبوا المقالة الصحفية منذ عام ١٩١٠م سواء من حيث أهميتها أو مضمونها رفيع المستوى، وكانت تنشر المقالات فى مجلات المحروسة والأهرام، والمقتطف، والسياسة الأسبوعية، والمرأة الجديدة وغيرها، ابتكرت فى مجلة السياسة بابا اسمه «خلية النحل» وفيه يتقدم من يشاء من القراء ببعض الأسئلة ويجيب عنها القراء أيضا.

ووظيفة الصحيفة هى اختيار الأسئلة والأجوبة وإعادة صياغتها بشكل لائق، وهذه كانت تعطى الناس فرصة للمشاركة وأيضا للاطلاع على الموضوعات من جوانب كثيرة. لقد كانت مَى تختار شكل المناظرة بين الأفكار والنظريات المتباينة وتمنح صوتها وعواطفها لفكرتين متناقضتين حتى تعطى القارئ فرصة للاختيار والقراءة الحرة، كل طرف يدافع عن وجهة نظره وفيما بعد يظهر رأيها الخاص. ومما يلفت النظر أن أغلب الموضوعات مازالت تطرح حتى الآن.

خرجت مى فى أسلوبها الخاص عن التقليد؛ إذ كان لها أسلوبها الخاص الذى يجمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية وهى تنحو نحو الرومانسية إضافة إلى الواقعية، أدبها وجدانى تأملى، تمجد الأم وتناجى الطبيعة متأثرة بالأدب اللبنانى وللأدب المهجرى.

قالت عن الحب: آه والوعتاه عليك يا قلب الإنسان، إن أوراقك لتجف فى ربيع أيامك والريش يتساقط عن جناحيك قبل الأوان. وعندما

يبزغ فجر الحياة فى أفق النفس ينتشر فيها عبير الحب، نحن نتعلم المشى والوقوف والكلام والقراءة، لكننا لا نتعلم الحب إلا أن الحب هو جوهر الروح، وجميع قوى الروح تناديه بأصواتها المختلفة .. انطلقت مىّ فى مدرسة الحياة لترى الناس وتعاشرهم وتحس آلامهم وليتحقق فى قلبها الحب والأمل، وعكفت على تثقيف نفسها لتخاطب أفذاذ العقول وجها لوجه. وسميت بعبقرية اللغات فقد كانت تتقن أربع لغات: العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، وهذه الميزة جعلتها تتطلع إلى ثقافات الشعوب الأخرى فهى شاعرة ألقت الشعر باللغة الفرنسية وشعرها المنثور فى العربية قديم، وهى خطيبة تعرف كيف تؤثر على مسامع الجمهور وتصل إلى مكامن العقل والعاطفة فيه.

كانت مى كاتبة اجتماعية كتبت حول شخصيات مهمة مثل: باحثة البادية.. جبران خليل جبران.. بيتهوفن.. طاغور.. مايكل أنجلو.. الحكيم.. وغيرهم كثيرون.

فى مساء كل يوم ثلاثاء كانت مى تلتقى عددا من الأدباء وغيرهم يتحاورون فى صالونها الشهير فى الأدب والشعر والموسيقى والعلم من هؤلاء: إسماعيل صبرى..، لطفى السيد..، شبلى شميل..، عباس محمود العقاد..، خليل مطران..، أحمد زكى باشا..، طه حسين.. الأمير مصطفى الشهابى..، أحمد شوقى..، سلامة موسى..، حنفى ناصف..، هدى شعراوى وغيرهم.

■■■

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد:

لـو جمعـت الأحاديث التـى دارت فـى صالون مـى لتألفت منها مكتبـة عصرية تقابل مكتبة العقد الفريد ومكتبة الأغانى فى الثقافتين الأندلسية والعباسية.

لقد استمر صالون مى قرابة ٢٥ عاما يعقد فى موعده المعتاد، تديره بنفسها وتتحكم فى توجيه النقاش وتنظيم السجال منعا لاختلاط الآراء واحتدام الحوار، وكان لها فصل الخطاب فيه لما وهبت من طلاوة الحديث ورشاقته وموهبة توجيهه وإدارته بين مجلس المختلفين فى الرأى والمزاج والثقافة.. علما بأن تلك الفترة من الزمان كانت مليئة بالمتناقضات الفكرية والاجتماعية والسياسية، وكان لدى الجميع لرغبة فى تجاوز هذه المتناقضات والإسهام فى صناعة المستقبل عن طريق الحوار البناء الذى يحترم الرأى الآخر.

كان من أهداف صالون مَىّ البحث فى إنشاء جديد يقرب بين اللغة لفصحى واللغة العامية وأيضا التقريب بين الفكر الشرقى والفكر لغربى من خلال تعريب الروائع الأدبية الأوربية ومناقشة الكتب لجديدة والقصائد والحملات الصحفية، وقضايا الساعة.

قال إسماعيل صبرى فى صالون مى:

وحى على بعض دور الحى حائمة كظامئ الطير تواقا إلى الماء
ن لـم أمتع بمـىّ ناظـرى غدا أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

ولدت مَيّ زيادة عام ١٨٩٥م ورحلت عن عالمنا عام ١٩٤١م، أى إنها عاشت ستا وأربعين عاما ملأت فيها الدنيا وشغلت الناس بالفكر والفن والحب.

■■■

كتاب: سائح فى دنيا الله

تأليف: عبد الوهاب مطاوع

القراءة

عادة مفيدة ومهمة لصاحبها، ولها ثمار طيبة ونتائج تجعل من صاحبها نجما فى المجتمع.

فى كتابه «سائح فى دنيا الله» يقدم لنا الكاتب عبد الوهاب مطاوع تجربته مع القراءة فيقول: زرت معظم دول العالم قبل أن أراها على الطبيعة، وعرفت السياحة الفكرية قبل أن أعرف السياحة العملية بسنوات طويلة.. فلقد قمت بأولى رحلاتى السياحية خارج مصر، وأنا فى التاسعة والعشرين من عمرى.. أما أولى رحلاتى الفكرية على الورق التى عرفت فيها معظم دول العالم وأدبائه ومفكريه.. فلقد بدأت غالبا فى الحادية عشرة؛ ففى مدينتى الصغيرة دسوق، كانت هناك مكتبة تقع فى ميدان محطة السكة الحديد، اسمها مكتبة «فرج» وكانت كغيرها من مكتبات المدينة تعتمد فى نشاطها التجارى أساسا على بيع الكتب والأدوات المدرسية، ولكنها كانت تنفرد عنها بشىء مهم عميز، وهو أنها كانت تعرض إلى جانب الكتب المدرسية كتبا أدبية لمؤلفين وأدباء عظام، كنا نقرأ أسماءهم فى الصحف ونسمع أحاديثهم فى الإذاعة وننبهر بها، كطه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وغيرهم.

ويستطرد الأستاذ عبد الوهاب مطاوع فى سرد حكايته مع القراءة قائلا: وكان المصدر الأدبى الوحيد لمكتبة فرج هذه سور الأزبكية المكتظ بالكتب القديمة، فكان صاحب المكتبة يسافر إلى مدينة القاهرة كل شهرين وينتقى من الكتب القديمة المعروضة فى مكتبات السور ما يراه قابلا للرواج فى مدينته ويشتريه بالجملة، ويرجع به ليجد من ينتظرُون عودته بلهفة، ولم تكن أسعار الكتب فى ذلك الوقت بداية الخمسينيات تزيد مهما زادت عن قروش قليلة، فالكتب الجديدة نفسها كانت أسعارها بالقروش وليس بالجنيهات، كما هو الحال الآن.

يقول المؤلف: كانت سلسلة اقرأ الأدبية الشهرية العظيمة تنشر عيون الأدب العربى والعالمى، ولم يكن سعر النسخة الواحدة منها سوى ستة قروش. وكانت روايات الهلال تنشر سلسلة جورجى زيدان «روايات تاريخ الإسلام»، وروائع الأدب العالمى المترجمة وتباع بخمسة قروش للنسخة، كما كانت سلسلة «الكتاب الذهبى» التى نشرت مؤلفات إحسان عبد القدوس ويوسف السباعى ويوسف إدريس ونجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوى وأمين يوسف غراب ويحى حقى وغيرهم، وكانت هذه السلسلة تباع بعشرة قروش كاملة، لأن طباعتها كانت أفخر وغلافها كان مموها باللون الذهبى اتساقا مع اسم السلسلة.. فإذا عرفت ذلك أدركت أن صاحب المكتبة لم يكن غالبا يدفع فى تجارته التى يسافر خصيصا إلى القاهرة لجلبها أكثر من أربعة أو خمسة جنيهات على الأكثر، وأن هذا المبلغ كان كافيا لأن يملأ رفوف

مكتبته بتلك الكتب الثمينة، التى نتحرق نحن شوقا لوصولها إلى مدينتنا، ولا شك أن العصر نفسه كان عصر قراءة، ولم يكن للشباب وتلاميذ المدارس خاصة فى شهور الصيف من شاغل يشغل أوقات فراغهم الطويلة سواها فلم يكن التليفزيون قد عرف طريقه إلى البيوت ولا الفيديو ولا الدش ولا حتى جهاز الكاسيت، لهذا فقد كان المألوف أن تظهر فى مدينتى فى الصيف «مكتبات مؤقتة» يقتصر نشاطها الثقافى على شهور العطلة فقط، فإذا انتهى الصيف أوقفته ورجعت لممارسة نشاطها «الجاد» الأصلى.

كانت هذه المكتبات المؤقتة فى الأصل محلات للتجارة البسيطة من حلوى وخردوات وغيرها، لكنها تضيف لنشاطها خلال فصل الصيف نشاطا موسميا جديدا هو «تأجير الكتب الأدبية» لطلبة المدارس، الذين يعانون من الفراغ فى الصيف. نعم «تأجير» الكتب والمجلات القديمة وليس بيعها، إذ كان أصحاب هذه المحلات يعرضون بمحلاتهم كل صيف عددا من الكتب والمجلات القديمة «ويؤجرونها» للقراء بنصف قرش للمجلة وبقرش صحيح للكتاب، فكان من بين الشباب وتلاميذ المدارس من يستأجرون هذه الكتب باليوم كما يستأجرون الدراجات من محال تأجيرها بالساعة.

ويتحفظ الكاتب عبد الوهاب مطاوع فى مسألة تأجير الكتب والمجلات هذه فيقول: «لكنى ولسبب لا أدريه للآن لم أتعامل مع هذه الكتب المؤجرة أبدا، مع أنى رأيت رفاق الطفولة يتعاملون معها،

وفضلت دائما اقتناء الكتب والاحتفاظ بها، برغم ما كان يسببه لى ذلك من ضيق مادى شديد . فقد كنت أنفق معظم مصروفى الأسبوعى فى شراء الكتب..». من حسن حظ الكاتب الكبير عبد الوهاب مطاوع أن والده شجعه على عادة القراءة واقتناء الكتب، بل منحه تصريحا بأن يأخذ من بائع الكتب وموزع الصحف كل ما يريد من الكتب الدورية التى توزع مع الصحف، ثم فى المساء يحاسبه هو على الكتب التى أخذها ابنه فوفر الأب لابنه مصروفه وشجعه على مواصلة القراءة، فأسهم فى تكوينه الثقافى فخرج إلى الحياة عضوا فى «رابطة عشاق المعرفة».

أما عن رابطة عشاق المعرفة فيعرفنا بها الكاتب قائلا: هذه الرابطة قال عنها الفذن العظيم شارل شابلن فى مذكراته إنها موجودة فى العالم، وتجمع بين الباحثين عن المعرفة فى كل المجالات، وتربط بينهم بسمات وخصائص نفسية مشتركة بغير أن يدروا بذلك.

يحدثنا عبد الوهاب مطاوع أيضا فى كتابه: «سائح فى دنيا الله» عن الكتب التى قرأها وشعور ما بعد القراءة فيقول: لاحظت فعلا وعلى مدى سنوات العمر أننى فى الفترات التى كنت أقرأ فيها كتابا جديدا ممتعا، كان هذا الكتاب يعوضنى عن وحدتى، وعن كل شىء آخر فى الحياة.

فى حياتى كنت أتعجل عودتى من العمل فى المساء إلى شقتى التى أقيم فيها وحيدا لأستغرق فى قراءة كتاب ممتع بدأته، فأستغنى بذلك

عن سهرتى مع أصدقاء طوال فترة استغراقى ومعايشتى لهذا الكتاب.

وقد استمتعت إلى حد النشوة بل اللذة الروحية الطاغية حين قرأت ثلاثية نجيب محفوظ «بين القصرين وقصر الشوق والسكرية»، وحين قرأت «أولاد حارتنا» والحرافيش وكل أعماله، وحدث لى ذلك أيضا حين قرأت مجلدات كتاب وليم شايرر:

«قيام وسقوط الرايف الثالث»، وأنا فى العشرينيات من عمرى، وكتاب «عشرة أيام هزت العالم» للصحفى الأمريكى جون ريد عن الأيام التى سبقت الثورة البلشفية فى روسيا ١٩١٧م، وكتاب «حياة محمد» للدكتور محمد حسين هيكل، وكتاب «الأيام» لطه حسين، «وعودة الروح» لتوفيق الحكيم، ومسرحيات«الذباب» و «الأيدى القذرة» لجان بول سارتر وغيرها من الأعمال الأدبية والفكرية.. كنت أشعر بعد انتهائى من قراءة أى كتاب من هذا النوع.. أننى أصبحت إنسانا أفضل وأننى أكثر ثقة بنفسى.

■■■

كتاب: عشرة طاولة مع الملك فاروق

للشاعر: ياسر قطامش

عودنا الكاتب الساخر والشاعر الحلمنتيشى المهندس ياسر قطامش على الغوص فى أعماق التاريخ ولقاء القادة والزعماء والملوك الذين رحلوا من سنوات بعيدة، وتخيل إجراء حوار معهم ليحكى لنا تاريخهم وأهم أعمالهم بصورة موضوعية تتوخى الصدق،وهو بهذا يعيد كتابة التاريخ إنصافا له ولشخصياته. وقد قدم لنا قبل ذلك كتابا تحت عنوان: «فنجان قهوة مع أفنديا»، ألقى فيه الضوء على تاريخ الخديو إسماعيل بصورة جادة صادقة، فذكر ما له وما عليه.

وقد صدر للكاتب ياسر قطامش فى شهر مارس ٢٠٠١م كتاب جديد تحت عنوان: «عشرة طاولة مع الملك فاروق»، ينهج فيه النهج نفسه، ويتخيل لقاءه مع الملك فاروق ليلعب معه الطاولة التى كان يفضلها ويجرى معه حوارا عن حياته ليعطينا صورة صادقة عن عصره وأهم أعماله. الكتاب صدر ضمن سلسلة كتاب اليوم الذى يصدر عن دار أخبار اليوم، العدد ٥٥٤.

قبل أن يتحدث كاتبنا ياسر قطامش مع الملك فاروق ويلعب معه الطاولة يمهد لنا فى كتابه عن نظام الملكية فى العصر الحديث، فقد عاشت مصر فى الحكم الملكى لمدة ٣٠ سنة من ١٩٢٢م إلى ١٩٥٢م وهى

فترة حكم الملكين فؤاد وفاروق، ويقول المؤلف: لم يكن هذا العهدُ الملكى شرا كله بل كانت فيه حسناتٌ أغفلها أو تجاهلها التاريخُ ومعظم المؤرخين. حكم الملك فؤاد مصر ١٩ عاما منها خمسة أعوام بلقب سلطان وهى الفترة من ١٩١٧م إلى ١٩٢٢م، ثم أصبح الملكُ فؤاد فى الفترة من ١٩٢٢م إلى ١٩٣٦م وجاء من بعده ابنه فاروق ليحكم مصر من ١٩٣٦م إلى ١٩٥٢م. لم يكن فؤاد يحلمُ بعرش مصرَ فى شبابه، وجاءته فرصةُ العمر على طبق من ذهب عندَ وفاة أخيه السلطان حسين كامل ١٩١٧م ورفض ابنه البرنس كمال الدين حسين تولى عرشَ مصر، ورأت إنجلترا صاحبُة الكلمةِ العليا أن تولى الحكمَ أكبرَ ذرية محمد على سنا طبقا للفرمان التركى القديم فأسندت كرسىَ العرش إلى فؤاد الذى انتقل فى يوم وليلة من رتبة أمير إلى طبقة الملوك وعمره ٤٩ عاما.

يقول المفكر عباس محمود العقاد: «ظن الإنجليز أن السلطان فؤاد صنيعتهم ولعبة فى أيديهم لكن الأيام أثبتت عكس ذلك وأصبح السلطان فؤاد أقوى شخصية حاكمة فى مصر بعد جده محمد على..».

ويلقى ياسر قطامش الضوء على أهم الإنجازات التى تمت فى عهد الملك فؤاد ومنها: اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢م، ظهور السينما الناطقة لأول مرة، تأسيس معهد الموسيقى الملكى، إنشاء مجمع اللغة العربية والمتاحف مثل السكك الحديدية والمتحف الزراعى، إقامة بنك مصر وغيره، افتتاح الإذاعة الملكية فى ٣١ مايو ١٩٣٤م، إنشاء شركة مصر للطيران، وبلغ الاقتصاد المصرى درجة

كبيرة من الانتعاش حتى أصبح الجنيه المصرى أعلى سعرا من الجنيه الإنجليزى الإسترلينى.

فى يوم الثلاثاء ٢٨ إبريل ١٩٣٦م رحل الملك فؤاد بعد توليه حكم مصر ١٩ عاما، وأعلن المسئولون: مات الملك فؤاد عاش الملك فاروق الأول الذى سيتولى العرش خلفا لوالده. بعد خمسة أيام من دفن الملك فؤاد وصل فاروق إلى الإسكندرية على ظهر إحدى البواخر القادمة من إيطاليا، ولم يحضر تشييع جنازة والده، وبأسلوبه الساخر يقول ياسر قطامش: «مش عيب عليك يا فاروق ما تحضرش جنازة والدك!».

فى الثامن من شهر مايو اجتمع مجلس الشيوخ والنواب ونودى بالأمير فاروق ملكا على البلاد، وتقرر تشكيل مجلس وصاية ليتولى مهام الحكم بصفة مؤقتة لحين بلوغ فاروق السن القانونية وهى ١٨ سنة، ثم ألقى فاروق فى الساعة التاسعة مساء كلمة بالقصر الملكى بعابدين نقلتها الإذاعة ليسمعها الشعب تعهد فيها على خدمة الوطن وإسعاد أمته.

تزوج الملك فاروق فى يناير ١٩٣٨م بالملكة فريدة وأنجب منها: فريال، فوزية، فادية، ولما كان الملك يريد أن ينجب وليا للعهد فقد اتهم الملكة فريدة بأنها مريضة بخلفة البنات، وفاحت رائحة غراميات الملك فأصرت الملكة على طلب الطلاق الذى لم يتم الإعلان عنه رسميا إلا فى ١٨ نوفمبر ١٩٤٨م. فى مايو ١٩٥١م تزوج الملك فاروق مرة ثانية من ناريمان وأنجب منها ولى العهد أحمد فؤاد الثانى

فى ١٦ يناير ١٩٥١م ولكن الملك لم يهنأ بعد ذلك، فقد قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م وتم خلعه وخروجه من مصر.

يلقى الكاتب ياسر قطامش الضوء على الملك فاروق وحياته وأهم أعماله فيقول: ولد فاروق يوم الأربعاء ١١ فبراير ١٩٢٠م، اهتمت أمه الملكة نازلى بتدليله، وخوفا من الحسد كانت تلبسه ملابس البنات، كان فاروق بسيطا فى معاملته للآخرين مداعبا لهم لكن والده الملك فؤاد كان يطالبه بالجدية والصرامة ويقول له: «أنت أمير ولا يجب أن تلعب أو تضحك مع الخدم».

كان الملك فاروق يحب الجمال لكنه لا يميل للحرام، لا يحب شرب الخمر لكنه مدمن للقمار، يحب السهر ويستيقظ أحيانا بعد الظهر.. فى الحوار الذى أجراه ياسر سأله: ماذا كنت تتمنى أن تكون لو لم تكن ملكا؟

كنت أتمنى أن أكون مغنيا أو ميكانيكيا فأنا أحب الطرب والميكانيكا وأفهم فيهما جيدا.

فى عصر فاروق تزينت ميادين مصر بتماثيل الزعيمين: سعد زغلول، مصطفى كامل، وتم إلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧م، ودخلت مصر عصبة الأمم المتحدة وتم إلغاء صندوق الدين، إنشاء جامعة الدول العربية عام ١٩٤٤م، وعندما قامت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م – ١٩٤٥م رفض الملك فاروق الهرب من مصر وقال:

ما يجرى على الشعب المصرى يجرى علىّ.. وتم جلاء الإنجليز عن ثكنات قصر النيل ورفع العلم المصرى عليها، وتم جلاء الإنجليز عن القاهرة والإسكندرية، وتمت كهربة خزان أسوان وإنشاء جامعة الإسكندرية «جامعة فاروق» والبنك الصناعى وقناطر إدفينا وتأميم شركة النور بالقاهرة، وصدر مرسوما بقانون «محاكمة الوزراء» وقانون الكسب غير المشروع سنة ١٩٤٩م.

يقول ياسر قطامش فى كتابه: عشرة طاولة مع الملك فاروق لاحظت أن الملك فاروق له شخصيتان:

- الشخصية الأولى عاقلة واعية تتسم بالمهابة والوقار يظهر بها فى المناسبات الرسمية، تضحك بحساب وتنفعل بحساب وهذا بالطبع ذكاء منه، بالإضافة إلى نزعته الطيبة فى التبرع للفقراء وأعمال الخير وإقامة موائد للشعب وبخاصة فى شهر رمضان، وزيارة الملاجئ والعطف على البؤساء ومساعدة المساكين واقتناء الحيوانات.
- الشخصية الثانية: للملك فاروق هى لشاب مستهتر يحب الحياة يعشق تدخين السيجار يلعب القمار يلهو بالنساء يتلذذ بالطعام، أى إنه يجمع الغرائب والمتناقضات فى سلوكه وتصرفاته ولعل هذا يعود إلى توليه الحكم فى حداثة سنه صغيرا وعدم حصوله على قسط وافر من التعليم.

ولا ينسى كاتبنا الساخر وشاعرنا الرفيق ياسر قطامش أن يقدم لنا صيحة مهمة فى كتابه:

«عشرة طاولة مع الملك فاروق».. هى: الضحكة اهتم باستخدام لضحكة والنكتة والقفشة لا لعلاج همومك فقط ولكن - وهو الأهم - حل أعقد المشاكل والتخلص من أحرج المواقف والتغلب على التهاب لنكد الوبائى الذى تفشى بسبب انتشار التلوث الأخلاقى.

■■■

كتاب: برتراند راسل أمام المحاكم الإنجليزية والأمريكية

للدكتور: رمسيس عوض

يحتل الفيلسوف والمفكر الإنجليزى برتراند راسل الذى عاش بين السنوات «١٨٧٢م - ١٩٧٠م» مكانة مميزة فى تاريخ الفكر العالمى المعاصر، بأفكاره وآرائه ومواقفه الفلسفية والاجتماعية والسياسية.

ومن أشهر مواقفه وإنجازاته التى تحسب له أنه كان من أول الساسة الإنجليز الذين أسهموا بنصيب وافر فى إرساء قواعد الديمقراطية فى بريطانيا، وكان تكوينه العقلى مستمدا من دراسته للرياضيات والفلسفة مما أعطى لآرائه الفلسفية والفكرية بعدا عقلانيا رصينا.

وقد أصدرت دار الهلال ضمن سلسلة كتاب الهلال كتابا عن هذه الشخصية المرموقة تحت عنوان: «برتراندا راسل أمام المحاكم الإنجليزية والأمريكية» تأليف الأستاذ الدكتور رمسيس عوض.

يقول المؤلف إن فلسفة راسل تقوم على العقل وتمجد التشكك فيما لا يستطيع العقل الإنسانى إثباته أو البرهنة عليه، وفى الوقت نفسه هى حريصة على الأمانة الفكرية مهما كان الثمن، والإيمان بأن التشكك

والقلق الفكرى الذى يجىء فى أعقابه كنتيجة لانعدام المعرفة اليقينية ينطويان على شجاعة أدبية وفضيلة أخلاقية.

ويلقى كتابنُا هذا لدكتور رمسيس عوض الضوء على حياة هذا الفيلسوف والمفكر الكبير ويناقش مكوناته الفلسفية والفكرية ومواقفه الاجتماعية والسياسية والمراحل التى مرَّ بها فكره الفلسفى من إعجابه بالفيلسوف الألمانى «كانط» ثم تأثره بالفلسفة الهيجلية التى ترضى الرغبة فى الإيمان عن طريق الاستمساك بجوهر الدين فى إطار عقلى معقد، لا تحده الحدود التقليدية العنيفة، ثم تأثره بفلسفة «أفلاطون» حيث آمن بأن هناك عالما كاملا من المثل سرمديا لا يعرف التغير.

أما عن مواقفه الفكرية، فقد مرّ الفيلسوف «برتراند راسل» بعدة مراحل: إيمانه بالاستعمار ثم نبذ هذا الفكر، وتأثره بالفكر الاشتراكى والماركسى الذى دافع عنه ثم انقلابه على الفكر الشيوعى الدموى، ثم اهتداؤه فى سنواته الأخيرة إلى تلك النظرة الإنسانية الواسعة للإنسان بعد زيارته للصين، حيث تعلم أن ينظر إلى الحاضر الإنسانى فى ضوء الأحقاب التاريخية السحيقة.

ولد «برتراند آرثر وليام رَاسِل» عام ١٨٧٢م فى أسرة أرستقراطية عريقة لها شأن عظيم فى الحياة العامة الإنجليزية، مات والداه وهو فى سن مبكرة لدرجة أن ذاكرته لا تعيهما. بعد وفاتهما تولى جَده وجدته لأمه تربيته، جده الذى رباه هو اللورد «جون رَاسل» الذى قام بدور مهم على مسرح السياسة الإنجليزية فى القرن التاسع عشر، فقد تولى

رئاسة مجلس الوزراء فى عهد الملكة فيكتوريا مرتين وعاصر نابليون، ومن الثابت أن اللورد رَاسِل هذا من الساسة الإنجليز الذين أسهموا بنصيب وافر فى إرساء قواعد الديمقراطية فى بريطانيا، فهو المسئول عن تقديم قانون الإصلاح المشهور عام ١٨٣٢م.

لا شك أن جو العائلة الحر اللبرالى أثر فى طفلنا برتراند راسِل منذ طفولته، وهو يقول فى هذا:

«لقد تعلمت نوعا من الإيمان النظرى بالمذهب الجمهورى الذى لا يرى عيبا فى السماح لملك يتولى الحكم طالما أنه موظف فى خدمة الشعب ويتعرض للطرد إذا ثبت عدم صلاحيته.. .

لم تكن طفولة برتراند راسِل سعيدة فقد تضافرت ظروف شتى زرعت الشقاء فى قلبه، عاش طفلا فى وحدة وعزلة لا يعرف أقرانا له فى مثل عمره، كانت عائلته متزمتة دينيا مما انعكس على نفسيته فأصبح خجولا وحيدا. وربما يكون ذلك سببا فى كتاباته فى الكبر التى شنت حربا عظيمة على الكثير من أسس المجتمع الفيكتورى الفكرية، الذى كانت الفضيلة هى الشىء الوحيد الذى تُعلق الأهمية عليه، الفضيلة على حساب العقل و الصحة والسعادة وكل مصلحة دنيوية.. تمرد راسِل بفكره على البيئة التى شب فى أحضانها ودمغها بحكمه القاسى عليها بأنها بيئة مريضة تشجع نوعا مريضا من الأخلاق إلى الحد الذى يصل فيه هذا التشجيع إلى إصابة الذكاء بالشلل والتوقف.

لم يلتحق راسِل بأية مدرسة للدراسة فى طفولته بل تلقى دروسه على يد بعض المربين المشهورين، لكنه كان يكره جو البيت الذى

أشاع فى نفسه الابتئاس وأظهر حبا عميقا لدراسة الفلسفة وتهكم عليه الجميع وعلى ميوله الفلسفية وحاولوا تغيير رغبته دون فائدة. وفى الثامنة عشرة من عمره التحق بكلية ترينيتى فى جامعة كامبردج وبدأت الحياة تبتسم له والسعادة تملأ نفسه ونشوة الانتصار والانطلاق تسيطر عليه.

فى الجامعة استطاع التعبير الحر عن كل آرائه ومعتقداته دون أن يتهكم عليه أحد. كما استطاع أن يُكَون صداقات قوية استمرت معه مدى الحياة.

بعد تخرجه من الجامعة بتفوق فى علم الرياضة جاءت مشكلة العمل الذى يقوم بممارسته، ومرة ثانية تختلف معه الأسرة فهى تريد له أن يعمل بالسياسة كما كان يعمل أفراد الأسرة منذ زمن بعيد، وأكبر مثل على ذلك هو جده اللورد جون رَاسِل رئيس مجلس الوزراء الأسبق، وقبل ضغط الأسرة فعمل بالسلك السياسى لكنه لم يستمر إلا بضعة أشهر فقط.

فى عام ١٨٩٥م عين رَاسِل زميلا بجامعة كامبردج لتدريس الرياضة بها، وبقدر تفوقه فى الرياضة فإنه كان حزينا على الأسلوب المتبع فى دراستها وامتحاناتها، فقد اعتبره ضربا من الأحاجى والألغاز، وأقسم رَاسِل بينه وبين نفسه ألا يفتح كتابا فى الرياضة بعد ذلك، والطريف أنه قام ببيع كل كتب الرياضيات التى عشقها وقرر أن يعمل فى مجالها وفى هذا يقول إن رغبته فى التوصل إلى معرفة يقينية تقيم

سياجا يحميه من الشك كانت حافزا مهما دفعه إلى دراسة الفلسفة التى تعتمد على العقل وتجمد التشكك فيما لا يستطيع عقل الإنسان إثباته أو البرهنة عليه.. وقرأ رَاسِل فلسفة الألمانى «كانط»، ثم تأثر بالفكر الاشتركى لكنه كره ماركس والشيوعية الدموية، قرأ الفلسفة الهيجلية،ثم تأثر بأفلاطون وعالم المثل عنده، ومنذ عام ١٩٠٢م وهو يلاحظ كل الشواهد على تجمع سحب الحرب، إن حرب سنة ١٩١٤م بعثت فى نفسه اليأس والقنوط ومن هنا وقف رَاسِل فى وجه الحرب العالمية الأولى، وهو يعتقد أن الحرب تنهى حضارة الإنسان ويجب على الساسة البحث عن وسيلة للتعايش بين الشعوب دون الحرب البشعة والمجازر البشرية الهمجية.. أخذ رَاسِل يتحدث فى محاضراته عن همجية الحرب ويكتب المقالات وكانت النتيجة أن طرد من عمله بالجامعة ودخل السجن ستة أشهر. وألف رَاسِل الكتب ضد الحرب، وأيضا من أجل علاقات أسرية ناجحة ألف كتابه «الزواج والأخلاق» وسافر إلى أمريكا لكن أفكاره وفلسفته الحرة الجريئة لم يتقبلها الناس بسهولة وحتى الأكاديميين منهم.

إن كتاب «برتراند راسل أمام المحاكم الإنجليزية والأمريكية» تأليف الدكتور رمسيس عوض هو سيرة حياة وفكر فيلسوف بارز من فلاسفة القرن العشرين المرموقين..

■■■

كتاب: أساتذتى.. نجيب محفوظ

إعداد وتقديم: إبراهيم عبد العزيز

شهر

ديسمبر يذكرنا دائما بأبى الرواية العربية الأستاذ نجيب محفوظ، فقد ولد فى ١١ ديسمبر ١٩١١م وحصل على جائزة نوبل فى ديسمبر ١٩٨٨م، وهو صورة مشرقة للأديب والفنان المصرى على مَر العصور لم تكن حياة نجيب محفوظ سهلة أو فوضوية وإنما كانت منظمة مرتبة خاضعة للتخطيط.

فى كتاب «أساتذتى لنجيب محفوظ» الذى أعده وقدمه الأستاذ إبراهيم عبد العزيز كلمات وتصريحات وأحاديث يعبر فيها أديبنا الكبير عن حياته منذ طفولته وحتى بعد حصوله على «نوبل» ومنها نتعرف على نجيب محفوظ الإنسان وأسباب نجاحه وتفوقه..يقول نجيب محفوظ: «أردت أن أكون أديبا فاجتهدت ودرست وتمرنت وألفت وقدمت أحسن ما عندى على قدر ما أستطيع.. الأديب الحق فى أوله عبارة عن سلة مهملات فهو لا ينشر شيئا إلا بعد أن يكون قد كتب عشرات المرات قبل أن يرضى عما يكتبه ليقول ها أنا ذا، بل بعد أن يكون الأديب قد استقر فى وجدان الناس يعاملهم فى كل إبداع يكتبه كما لو أنه يكتب للمرة الأولى، فيخبى جانبا ما لا يرضى عنه أو يمزقه برغم معاناته فى إخراجه..».

ويلخص نجيب محفوظ لنا الخطوات اللازمة للوصول إلى القمة فى ثلاثة عناصر هى: الإخلاص.. والصدق مع النفس..، والعمل.

وهو يستفيد من نقد النقاد بينه وبين نفسه المبدعة ، ولكنه لا يرد مدافعا ولا موضحا ولا مفسرا، اللهم إلا فى حالتين فقط اضطر إليهما اضطرارا، أحدهما للدفاع عن شرفه الأدبى، وثانيهما للدفاع عن شرفه الدينى.

اهتم نجيب محفوظ بالنظام فى حياته، وكان النظام موجود فيه بالوراثة.. يقول: «إنك لو تتبعت أى فرد من أسرتنا أيام الأسبوع ورأيت ماذا يفعل كل يوم لعرفت نظام حياته كله لأن ما يفعله يوم السبت من هذا الأسبوع مثلا هو نفسه ما يفعله كل سبت آخر.. نعم أنا منظم، والسبب فى ذلك بسيط، إذ إننى عشت عمرى كموظف، وأديب، ولو لم أكن موظفا لما كنت اتخذت النظام بعين الاعتبار، كنت فعلت ما أشاء وفى أى ساعة أشاء، لكننى فى هذه الحالة كان على أن أستيقظ فى ساعة معينة، ويبقى لى من اليوم ساعات معينة. فإن لم أنظم هذا اليوم فسأفقد السيطرة عليه، لقد عودت نفسى على ساعات معينة للكتابة، وفى البداية كانت روحى تستجيب أحيانا وأحيانا لا، لكننى مع الزمن اعتدت ذلك... ويستطرد الأستاذ نجيب محفوظ قائلا: «إننى أكتب عادة مع الغروب، ولا أذكر أننى كتبت أكثر من ثلاث ساعات، وفى المتوسط لمدة ساعتين، أشرب فى اليوم الواحد خمسة فناجين قهوة وأسهر حتى الثانية عشرة ليلا، وأكتفى بخمس

ساعات نوم.. تعودت على نظام لتعدد هواياتى، منذ أن كنت طالبا، نت أحب أن أكون متفوقا، إذن علىّ أن أذاكر جيدا، وأحب أن ألعب رة القدم، أن أرى أفلاما، أن أسمع أم كلثوم، أن أقابل أصدقائى.. كى فعل هذا كله كان علىّ أن أقسم وقتى بحساب. كثير من زملائى كانوا تفوقون فى كرة القدم ويرسبون فى المدرسة، أو بالعكس يتفوقون إلى حد لا يجدون فيه فرصة للعب.. كى نجمع أشياء كثيرة علينا أن ننظم قتنا، تعودت إذن على النظام، فهو يطيل الوقت، ويجعل يومك مليئا نشاطات متعددة دون نظام يضيع يومك..».

وعن معاناته فى بداية حياته يقول نجيب محفوظ: «لقد عانيت بن أزمة فى نشر رواياتى وقصصى فى بداية حياتى.. عانيت من ذلك لأمرين.. ولم تكن أزمة النشر فقط هى أزمتى الوحيدة، بل كانت هناك زمة أخرى لا تقل عن سابقتها أهمية إنها أزمة الإهمال لقد كنت أكتب أكتب .. ولا أجد صدى لما أكتبه.. ولكن ذلك لم يجعلنى أيأس. أتَعلَم ا الذى جعلنى أستمر ولا أيأس؟ لقد اعتبرت الفن حياة لا مهنة، حين تعتبر الفن مهنة لا تستطيع إلا أن تشغل بالك بانتظار الثمرة.. نت أكتب وأكتب لا على أمل أن ألفت النظر إلى كتاباتى ذات يوم.. ل كنت أكتب وأنا معتقد أنى سأظل على هذا الحال دائما.. لم أنتظر ثمرة، بل حصرت اهتمامى بالإنتاج نفسه وليس بما وراء الإنتاج.. تعرف عناد الثيران؟ إنه خير وصف للحالة النفسية التى كنت أعمل تأثيرها» نجيب محفوظ عميد الرواية العربية رجل يعترف بالجميل

لكل من ساعده ووقف بجانبه اسمعه يقول: «أذكر أول رواية نشرت لى، فتتعالى دقات قلبى!! لو أنى أملك قوة البعث، لبعثت حيا هذا الرجل العظيم الذى نشرها لى، وأثر على جيل بأكمله إنه: سلامة موسى..».

وعن حسين فوزى يقول نجيب محفوظ: «أنا مغرم بالغناء الشرقى والموسيقى العالمية، وبفضل الدكتور حسين فوزى قبل كل شىء عرفت سبيل متعتى الروحية من إلهامات بيتهوفن وموزار وغيرهما.. وعرفت أيضا ضرورة العلم والفن للإنسان، العلم هو نتاج العقل، والفن نتاج الإحساس، ولأن الإنسان يتكون من عقل وإحساس معا، فإن حرمانه من ممارسة أحدهما يتركه أعرج، فلابد من أن يجمع بين الاثنين ليحقق التوزان لشخصيته ووجدانه».

وعن الشيخ مصطفى عبد الرازق يقول نجيب محفوظ: «أما أعظم شخصية دينية فكان الشيخ مصطفى عبد الرازق رحمه الله، فقد كان عالما عظيما يقربك من إشراق وحقيقة الدين بروحه العظيمة وأدبه الجم».

وعن الدكتور طه حسين يقول نجيب محفوظ: «كان طه حسين عميدا عندما دخلت كلية الآداب، وقد راح يربينا تربية جامعية عظيمة، فينبه على الأساتذة ألا يسمحوا لنا بكتابة المحاضرات، ولا يجوز لنا أن نقيد فى أوراقنا إلا اسم المرجع، أو سؤالا نريد أن نسأله، أما أن أقيد ما يقوله الأستاذ وأحفظه، فهذا ما كان يرفضه طه حسين، وكان

يقول لنا: اكتبوا المحاضرات مما استوعبته عقولكم، ولديكم المراجع فى مكتبة الجامعة. فكانت تربيته الجامعية لنا تربية عالية جدا».

وبعد حصوله على جائزة «نوبل» ١٩٨٨م قال نجيب محفوظ: «سعدت بجائزة نوبل لا شك، إنما فاق تلك اللحظة الشعور الذى أحسست به فى حياتى الأدبية عندما نشرت لى أول مقالة فى الصحف بعد رفض مقالات كثيرة سابقة.. إنه الإحساس الأول بالوجود الأدبى.. إنه الإحساس الأول بالسعادة فى زهرة العمر، الذى يفوق الإحساس الأخير بالسعادة فى خريف العمر..».

إنه عميد الرواية العربية نجيب محفوظ الذى آمن بقيمة العمل والإخلاص والصدق مع النفس والتواضع فعاش حياته كلها نموذجا للإنسان الناجح حتى أصبح نجيب محفوظ الحاصل على جائزة نوبل فى الآداب رحل عن عالمنا عام ٢٠٠٦م.

■■■

فهرس الكتاب

الإهداء ٥
المقدمة ٧
١ – كتاب: مصر والأديان للدكتورة: نعمات أحمد فؤاد ٩
٢ – كتاب: طبيب عجيب اسمه الهرم للدكتور: محمد المخزنجى ١٣
٣ – كتاب: مصر علمت العالم للدكتور: وسيم السيسى ١٨
٤ – كتاب: رحلة الخلود للدكتور مهندس: فوزى حسين ٢٣
٥ – كتاب: أطعمة الفراعنة غذاء وشفاء للدكتور: عبد الفتاح عنانى ٢٨
٦ – كتاب: وصفات من المطبخ الفرعونى تأليف: ماجدة المهداوى وعمرو حسين ٣٢
٧ – كتاب: الوحدة الوطنية قصة إبداع مصرية تأليف: محمد السيد عيد ... ٣٧
٨ – كتاب: حواديت تأليف: فكرى أباظة ٤٣
٩ – كتاب هموم ثقافية تأليف: يحيى حقى ٤٨
١٠ – كتاب: اليمنى واليسرى للباحث الإنجليزى: ماك مانوس ... ٥٣
١١ – كتاب:النجاح والتميز فى عصر العولمة للدكتور: محمد أبو الخير .. ٥٧
١٢ – كتاب: كيمياء السعادة تأليف: حسين أحمد أمين ٦٢
١٣ – كتاب: كيمياء الحب والمرح والمناعة للدكتور: عبد الهادى مصباح ٦٦

١٤ – كتاب: انتصار السعادة.. للفيلسوف برتراند راسل ٧١
١٥ – كتاب: الإبداع للدكتور: عبد الحليم محمود السيد ٧٧
١٦ – كتاب: فلسفة الجمال للدكتورة: أميرة مطر ٨١
١٧ – كتاب: البلاغة العصرية واللغة العربية تأليف: سلامة موسى ٨٦
١٨ – كتاب: نصف قرن مع الميكرفون للإذاعى: فهمى عمر ٩١
١٩ – ديوان: ماشى فى نور الله للشاعر الغنائى نبيل الفكهانى ... ٩٦
٢٠ – كتاب: حركة القلب للدكتور: وليم هارفى ١٠١
٢١ – كتاب: عن الحرية للفيلسوف: جون ستيوارت مل ١٠٦
٢٢ – كتاب: كلمات لقاسم بك أمين للدكتور: رامى عطا صديق ١١١
٢٣ – كتاب: من الشاطئ الآخر كتابات طه حسين باللغة الفرنسية جمعها وترجمها وعلق عليها عبد الرشيد الصادق محمودى ١١٦
٢٤ – كتاب: أينشتاين طفلا للدكتور: وليم عبيد ١٢١
٢٥ – كتاب: عاطف العراقى الوجود والخلود للدكتورة: زينب عفيفى ... ١٢٥
٢٦ – كتاب: محمد عبد الوهاب.. رحلتى.. الأوراق الخاصة جدا إعداد فاروق جويدة ١٣٠
٢٧ – كتاب: محمد القصبجى تأليف: صميم الشريف ١٣٦
٢٨ – كتاب: يوميات عبقرى للفنان: سلفادور دالى ١٤٢
٢٩ – كتاب شعر وشعراء تأليف: فؤاد دوارة ١٤٧
٣٠ – كتاب: أحمد أمين فيلسوف الأدباء للدكتور: محمد نبيه حجاب ... ١٥٢
٣١ – كتاب: لماذا أحرق التوحيدى كتبه؟! للدكتور: عبد الحميد الغزّى ... ١٥٨

٣١ – كتاب: أبو القاسم الشابى شاعر الحب والثورة تأليف: رجاء النقاش ١٦٣
٣١ – كتاب: على أدهم عاشق الفكر والأدب – كتاب تذكارى فى مئوية المفكر والأديب على أدهم ١٦٩
٣٤ – كتاب: ابن رشد فيلسوفا عربيا بروح غربية للدكتور: عاطف العراقى ١٧٥
٣٤ – كتاب: أبى شوقى تأليف: حسين شوقى ١٨١
٣٥ – كتاب: باقات من حدائق مىّ للدكتور: فاروق سعد ١٨٥
٣٦ – كتاب: سائح فى دنيا الله تأليف: عبد الوهاب مطاوع ١٩١
٣٨ – كتاب: عشرة طاولة مع الملك فاروق للشاعر: ياسر قطامش ... ١٩٦
٣٩ – كتاب: برتراند راسل أمام المحاكم الإنجليزية والأمريكية للدكتور: رمسيس عوض ٢٠٢
٤٠ – كتاب: أساتذتى .. نجيب محفوظ إعداد وتقديم إبراهيم عبد العزيز ٢٠٧

مؤسسة
دار المعارف
قطاع التسويق وتنظيم المعارض

منطقة	الفرع	العنوان	تليفون	فاكس
القاهرة	الإدارة والمكتبات	٩ شارع كامل صدقى بالفجالة	٢٥٩٠٥٩٤٨	٢٥٩٠١٧٦٦
	مكتبة ثروت	٢٧ شارع عبد الخالق ثروت	٢٣٩٣٦١٢٣	٢٣٩٣٦١٢٣
	مكتبة السيدة زينب	ميدان السيدة زينب ناصية شارع قدرى	٢٣٩١٣٨١٣	
	مكتبة شبرا	١٠٥ شارع شبرا أمام مدرسة التوفيقية	٢٢٠٢٣٨٦٦	
	مكتبة ماسبيرو	خلف دار المعارف ومجلة أكتوبر	٢٥٧٧٠٧٧	
الإسكندرية	مكتبة سعد زغلول	٤٢ شارع سعد زغلول	٠٣/٤٨٠٧٦٤٤ ٠٣/٤٨٠١٣٤٥	٠٣/٤٨٠٧٧٣٨
	مكتبة التحرير	٢ ميدان التحرير بالمنشية	٠٣/ ٤٨٧٩٩٥٣	
	مكتبة محرم بك	مساكن الجمهورية خلف نقطة شرطة أميروزو	٠٣/ ٤٢٩٤٧٠٣	
	جهاز المعارض بالإسكندرية	مساكن الجمهورية خلف نقطة شرطة أميروزو	٠٣/ ٤٢٩٤٧٠٣	
طنطا	المكتبة	خلف مسرح البلدية شارع القنطرة	٠٤٠/٣٣٣٢٣٥١	
المنصورة	المكتبة	شارع الجمهورية بجوار إدارة جامعة المنصورة	٠٥٠/ ٢٣٩٦٢٨٧	
الإسماعيلية	المكتبة	بجوار نادى الشجرة – شارع شبين الكوم	٠٦٤/ ٣٣٤٦١٩٢	
الزقازيق	مكتبة المنتزه	ميدان المنتزه – بالزقازيق	٠٥٥/ ٢٣٠٥٠٢٢	
	مكتبة عرابى	ميدان أحمد عرابى سابقا	٠٥٥/ ٢٣٦٥٠٢٢	

منطقة	الفرع	العنوان	تليفون	فاكس
العريش	المكتبة	شارع الجيش أمام قسم العريش	٠٦٨/ ٣٣٦١٨٩٠	
السويس	المكتبة	سوق فيصل السياحى- حى فيصل	٠٦٢/ ٣٩٧٢٩٦٦	
بنى سويف	أسيوط	شارع جلال الدين السيوطى	٠٨٨/ ٢٣٣٤٥٠٤	
	منطقة أسيوط الجديدة	عمارة الأوقاف رقم ٢ ش سعد زغلول	٠٨٨/ ٢٣٣٠٠٠٨	
سوهاج	الإدارة العامة والحسابات	خلف الساحة الشعبية بجوار قصر الثقافة	٠٩٣/ ٢٣٢٤٣٤٧	
قنا	الإدارة والمكتبة	شارع الجميل	٠٩٦/ ٥٣٢٣٢٣٠	
أسوان	الإدارة والمكتبة	السوق السياحى	٠٩٧/ ٢٣٠٣٨٣١	

اشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام

الاشتراك السنوى :

- داخل جمهورية مصر العربية ٩٦ جنيها.
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ١٢٠ دولارا أمريكيا.
- الدول الأجنبية ١٣٠ دولارا أمريكيا.

تسدد قيمة الاشتراكات مقدما نقدا أو بشيكات.

بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة.

يصدر قريبا

■ الجدة الحكاءة وثقافة الطفل
أمانى الجندى